علي فكري



السمير المهذب

الجزء الاول

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

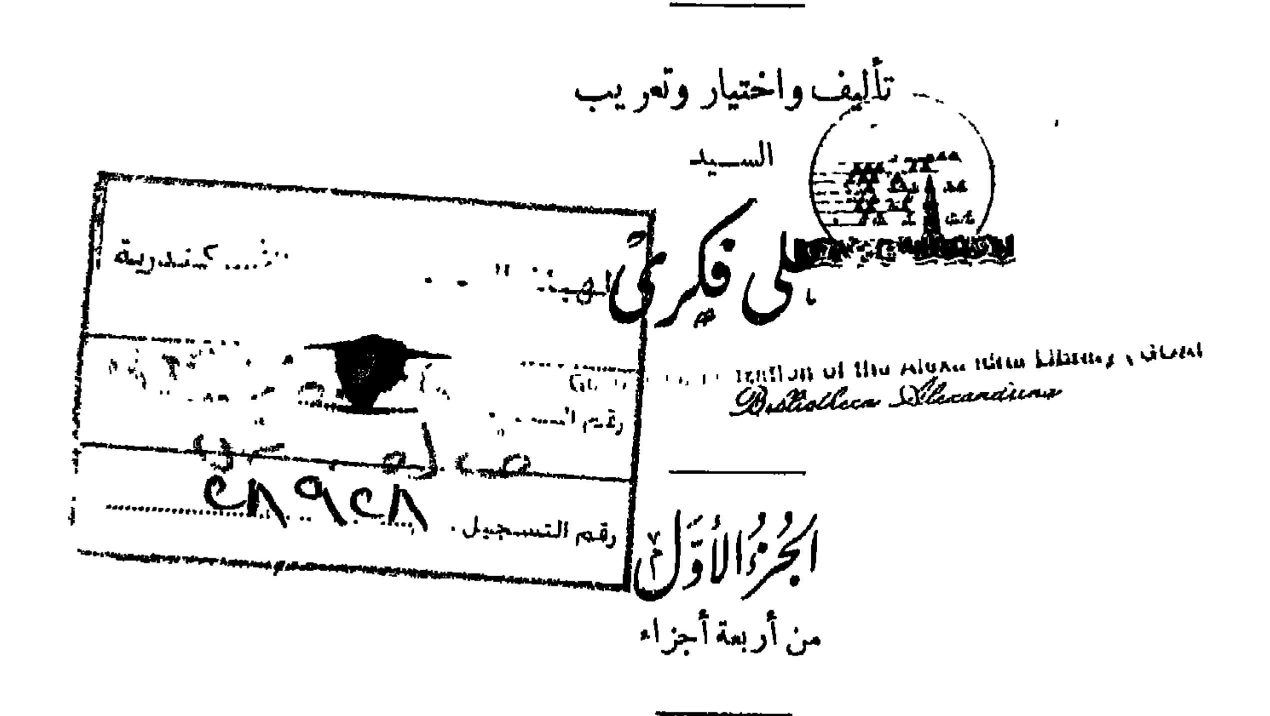
السمير المهذب

مجموعة قصص تهذيبية ، وحكايات خلقية ، وأمثال أدبية

تأليف واختيار وتعريب

السيد

لى فكري



الجزء الأول

من أربعة أجزاء

دار الكتب العلمية

بيروت — لبنان

الطبعة السابعة
١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م
بيروت – لبنان

تنبيه هـام

الغرض من دورس التهذيب

الغرض من دروس التهذيب أن تروض نفوس التلاميذ على الفضيلة و يحبب إليهم الخير ، حتى يشبّ الطفل مطبوعاً على حميد الخصال نافعاً لنفسه ولأمته .

وتبنى هذه الدروس على القصص والحكايات ، واستنباط الفضائل منها .

وليس الغرض من ذلك سرد التاريخ ، ولا استقصاء الحوادث ، ولا قيد وفاة أو ميلاد ؛ بل الغرض استرعاء ذهن الطفل ، والاستعانة بميله الفطرى ، إلى سماع الحكايات على تجلية الفضيلة فى مظهر جميل محبوب .

والمدرس بمهارته يستطيع أن يجعل درس التهذيب أحب الدزوس إلى الطفل ، وأكثرها فائدة له ، إذا صاغ القصص والحكايات فى أسلوب جميل شائق ، وهبط إلى منزلة الأطفال الفكرية ، فكان لفظه سهلاً ، ومعناه قريباً ، وبث فى حكاياته مايغذى فى الطفل الخيال ، ويلائم كثيراً من غرائزه .

وعلى نهجه قد وضعت كتابى هذا ، والله الموفق لما فيه من نفع لأبناء أمتنا المصرية العزيزة .

وأرجو أن ينال القبول ، فيكون لى غاية المأمول ؟

على فكرى

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

و به نستعين

الحمد لله على ما أنعم ، والصلاة والسلام على (سيدنا محمد) سيد العرب والعجم ، وعلى آله وصحبه ، رجال الفضل والأدب والعلم .

و بعد فما أثبتته التجربة ، ودلت عليه المشاهدة ، أن للأطفال شغفاً كبيراً بمطالعة القصص والحكايات والأمثال ، وأن تأثيرها فى نفوسهم وتصوراتهم أمر مشاهد لا ينكر ، وأن لها نصيباً كبيراً فى تسليتهم و إدخال السرور عليهم وتهذيب نفوسهم .

ولهذا استحسن كثير من حضرات المعلمين والمعلمات ، فى تهذيب البنين والبنات ، سرد قصص وحكايات ، وضرب أمثال عن الأنبياء والخلفاء والعلماء والأمراء والعظماء والصالحين ، وغيرهم بحيث تنطوى على كريم أخلاقهم ، ومحاسن صفاتهم ، بأسلوب جميل شائق ، بدون أن يرى الأطفال صعوبة فى فهمها ، أو يجدوا مشقة فى درسها وحفظها ، حتى تشعر نفوسهم ، وتعى قلوبهم حقيقة ما تحوى هذه القصص والحكايات والأمثال من فضائل وشمائل ، ومفاخر ومآثر ، وشيم حسنة ، وأخلاق كريمة مرضية .

وبذلك يعتادون من صغرهم التحلى بكريم أخلاق من يقرءون سيرهم ويقفون على أخبارهم ، وينسجون على منوالهم ، فتغرس فى نفوسهم أصول الفضائل ، وتتمثل أمامهم أمهات مكارم الأخلاق ، التى تجذبهم إلى محاسن الخصال ، وجميل الفعال ، وتبعدهم عن النقائص وقبيح الأعمال .

ولما كانت القصص والحكايات والأمثال أفضل وسيلة لتربية النشء تربيةً أدبيةً عمليةً ، رأيت أن أستخلص من كتابى (سبل النجاح ، وتقويم الأخلاق) ومن كتب الأدب ، عربيةً كانت أو إفرنجيةً ، مجموعة من القصص التهذيبية ، والحكايات الخلقية ، ووضعتها فى هذا الكتاب لتبين ما للطيب من الفعل الحسن والخلق الحميد ، وما يكون له جميل الذكر وحسن الأثر ، وما للخبيث من الفعل القبيح والخلق السيئ ، وما ينجم عنها من سوء العاقبة وسوء الحال .

وقد سميته « السمير المهذب » ليكون سميراً لهم فى مطالعتهم ، ومهذباً لأخلاقهم .

وقد راعيت فيه سهولة العبارات التى تقرب إلى أفهامهم معانى مكارم الأخلاق ، وتنفذ إلى قلوبهم ، فتحيى فيهم الشعور ، وتهذبهم إلى محاسن الأمور . هذا وإنى أحمد الله على انتشار هذا الكتاب فى مصر ، والأقطار الإسلامية شرقاً وغرباً ، حتى نفدت الطبعة الأولى ، والثانية ، والثالثة ، والرابعة ، والخامسة ، والسادسة منه . وقد أعاد الآن طبعه حضرات السادة أصحاب دار الكتب العلمية مما يدل على أهميته وانتشاره فى الأقطار

العربية الإسلامية .

وإنى أزف لحضرات القراء بشرى ترجمته إلى بعض اللغات الشرقية بعد التصريح منى بذلك ، وعمل الاتفاقات القانونية مع أصحابها ، وبشرى تقرير دراسته فى مدارس (تونس) والأقطار الإسلامية الأخرى ، وفى هـذا دليل كاف على جودة الـكتاب ، ومنفعته للطلاب .

هذا وزيادة فى الفائدة قد أضفت إليه بعض القصص والحكايات المقتبسة من كتابى (السمير الواعظ ، والدروس التهذيبية) وغيرهما لتـكون مؤيدة ومتممة لما فيه من الحـكم والأمثال .

وإنى أرجو الله أن يستمر هذا الـكتاب فى قبوله وانتشاره ليـكون من وراء درسه ومطالعته ما أتمناه من النفع الجزيل لأبناء الأمة الإسلامية فى جميع العالم الإسلامى إنه هو السميع المجيب ؟

« السيد على فـكرى »

حكايات وأمثال فى فضل العلم

طلب العلم خير من طلب المال

مثال أول

وقف طالب علم بباب أحد العلماء ونادى :

أحسن إلىّ أيها الكريم بشىء مما جاد الله به عليك ، فأمر له بطعام و بعض نقود ، فردها عليه بلطف ، وشكر له كرمه ، وقال : إن حاجتى إلى علمك أشد من حاجتى إلى طعامك ومالك .

فبشّ العالم فى وجهه ، وأدخله على الرحب والسعة ، وأفاده فى كل ما سأله عنه ، فخرج الطالب فرحاً مسروراً ، ولسان حاله يقول :

« علم يهدى إلى سواء السبيل ، خيرٌ من مال جزيل » .

ولقد صدق من قال :

العلم خير من المال ، لأن العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال ، والعلم يزيد بالإنفاق ، والمال ينقص بالنفقة .

مثال ثان

يحكى أن أحد الأغنياء كان له ثلاثة أولاد ، فلما أحس بدنو أجله أحضرهم لديه ، وقال لهم : قد دنا الأجل ، وانقطع من الحياة حبل الأمل ، فإذا حللت فى الرمس ، فاعملوا بهذا الدرس :

أوصيكم ياأولادى أولا بتعلم العلم ، والتمسك بالاستقامة والحلم، واقتسموا

مالى وحافظوا عليه ، ولا تسيئوا التصرف فيه ، وحافظوا على صحتكم وكرامتى وكرامتكم .

فلما توفى الوالد النصوح ، تنازع الكبيران مع الصغير ، واقتسما المال بينهما شطرين وأخبراه أنه سرق وتركاه صفر اليدين .

فلم يهتم الصغير بذلك ؛ بل عمل بوصية الوالد ، وعلم أن المال فانٍ ، والعلم خالد ، فتعلق بأذيال العلماء الأفاضل ، وشمّر عن ساعد الاجتهاد ، وسلك سبيل الرشاد ، حتى بلغ الرشد والمراد .

أما الأخوان الكبيران ، فأغراهما حب المال ، وأوقعهما فى أسوأ حال ؛ بل فى أوحال ، حيث أساءا استعماله ، وانتهكا الحرمات ، وعصيا الملك الديان ، واتبعا خُطوات الشيطان ، وكانت عاقبتهما الوبال والخسران !

فلما رأيا أخاهما الأصغر قد قام بوصية أبيه وأصبح رافلاً فى حلل السعد ، متشحاً بوشاح السؤدد والمجد ، تقدما إليه وقبلا يديه ، وطلبا منه العفو والسماح فقابلهما بكل ارتياح ، وغمرهما بعفوه ورضاه ، وأنشد يقول :

« رضينا بالعلوم تكون فينا مخـــلدة وللجهال مال »
« فإن المال يفنى عن قريب وإن العلم باق لا يزال »

مثال ثالث

نظر أحد العلماء إلى رجل غنى جاهل ، عليه ثياب مطرزة ، ممتط مُهرة عربية ، وهو يسير فى الطريق مختالاً فخوراً ، مصعراً خده ، معجباً بنفسه ، فقال لرفيق كان معه : ماذا ترى فى هذا الفحل ، يلبس الديباج ، ويركب الخيل ،

فأجابه : مثله كمثل تمثال غليظ منقوش بمـــاء الذهب ، ولولا العمامة والقفطان والفرس ؛ لـــكان (الإصطبل) أجدر بهذا الفحل ، لأنه لا قيمة له إلا بها ، ولا قدر له إلا بمقدارها .

فقال العالم : حقاً أن العاقل المتعلم هو غنى بنفسه وعلمه ، أما الجاهل فمهما صاغ بابه من ذهب ، ورصف بيته بالزبرجد ، واكتسى ثوباً جميلا منسوجاً بخيوط العسجد ، فلا هـــذا يعلى قدره ، ولا ذاك يرفع ذكره ، ولقد صدق الشاعر فى قوله :

« العلم كنز وذخر لا فنـــــاء له ... نعم القرين إذا ما صاحب صحبا »
«قد يجمع المال شخص ثم يحرمه ... عما قليل فيلقى الذل والحربا »
« وجامع العلم مغبوط به أبداً ... ولا يحاذر منه الفوت والسلبا »
« ياجامع العلم نعم الذخر تجمعه ... لا تعدلن به دراً ولا ذهبــا »

اطلب العلم من المهد إلى اللحد

يحكى أن إبراهيم المهدى دخل على المأمون وعنده جماعة يتكلمون فى الفقه

فقال : يا عم ما عندك فيما يقول هؤلاء ؟

فقال : يا أمير المؤمنين شغلونا فى الصغر ، واشتغلنا فى الـــكبر .

فقال له : لِمَ لا تتعلمه اليوم ؟

قال : أو يحسن بمثلى طلب العلم وقد كَبِرَ ؟

قال : نعم ، والله لأن تموت طالباً للعلم خير لك من أن تعيش قانعاً بالجهل

قال : و إلى متى يحسن بى طلب العلم ؟

قال : ما حسنت بك الحيلة (فاطلب العلم من المهد إلى اللحد) .

العلم بالعمل

أراد كبير من كبار الأساتذة أن يتعلم فن السباحة،فأحضر كتب السباحة وقرأها ، وجعل يتدرب فى حجرته فوق السرير تارة ، وعلى سطح الأرض تارة أخرى ، حتى أيقن بالقدرة على أن يسبح فى الماء ، فجمع تلاميذه و إخوانه الأساتذة ليسبح أمامهم فى البحر ، فلما نزل تلقفته الأمواج ، هذه تارة ، وتلك دفعة أخرى ، حتى أوشك أن يهلك ، فأسرع إليه الناس وانتشلوه من بين لجج البحر ؛ فلو أنه أجرى تجار به وتدريسه عملياً فى البحر لكان من الناجحين ، لأن العلم بالعمل .

علم بلا عمل ، كنحل بلا عسل

دخل أحد العمال يوماً على أحد الملوك بإذنه ، فوجد حوله جماعة من العلماء سكوتاً ، كأن على رءوسهم الطير ، ولم يكن يعرف من العلم إلا قليلا ، فقال له الملك :

ليتك كنت عالماً ، (فإن مثقال ذرة من العلم ، أفضل من جهاد الجاهل ألف عام) .

فقال العامل :صدقت يا مولاى ، ولكن ما المنفعة منى إذا حويت علوم الأولين والآخرين ، وكنت لا أبرح من خبائى ، ولا أقوّم حياتى إلا بما تتصدق به علىّ كهؤلاء العلماء الذين قال الله عنهم :

« إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً »

فأعجب الملك من جوابه وقال : (حقاً علم بلا عمل ، كنحل بلا عسل) ومثل العالم الذى لا يعمل ، كمثل حامل السراج يضىء لغيره ، ولا ينتفع بنور سراجه ، ولله در القائل :

« العلم أشرف شىء ناله رجل   من لم يكن فيه علم لم يكن رجلا »

« تعلم العلم واعمل ما استطعت به   فالعلم زين لمن بالعلم قد عملا »

من لم يتحمل ذل التعلم ساعة

عاش فى ذل الجهل أبداً

خرج تلميذ للّهو واللعب تاركاً دروسه ، مهملاً واجباته ، ثم جلس فى بستان ، فرأى عصفورة فوق شجرة تعلم أولادها الطيران ، فأخرجت الأول ؛ ثم طارت أمامه من أسفل الغصن إلى أعلاه ، ومنه إلى مايجاوره ، ثم إلى أبعد منه وهو يتبعها ، وما زالت به تعلمه حتى قدر أن يفارق الشجرة إلى شجرة أخرى ، فتركته ، وجاءت لغيره وعلمته . وهكذا حتى صادفها فرخ من فراخها لم يقدر على اتباعها فأخذته إلى العش ، فنقرته نقراً خفيفاً ، وأخرجته وطارت فتبعها ثم عجز ، فأخذته ونقرته نقراً شديداً ، وطارت فتبعها ، ومازالت به حتى صار كإخوته ، وتمتع بهذا الفضاء الفسيح ، يطير فيه و يصيح .

فلما رأى التلميذ المهمل مارأى ، خاطب نفسه وقال : إن أنا تحملت ألم التعلم جزءاً من حياتى عشت سعيداً كما يعيش هــذا العصفور ، ثم اعتنى

بدروسه فكان من أهل السيادة والسعادة ، وفى هـذا يقول الإمام الشافعى رضى الله عنه :

« من لم يذق ذل التعلم ساعة تجرع ذل الجهل طول حياته »
« ومن فاته التعليم وقت شبابه فكبِّر عليه أربعاً[1] لوفاته »
« حياة الفتى والله بالعلم والتقى إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته »

وقال رجل لأرسطو : إنى لا أستطيع صبراً على تحمل تعب العلم . فأجابه أرسطو الفيلسوف : اصبر إذن على تحمل شقاء الجهل .

مصاحبة العلماء علم وشرف

أصيب (هوير) العالم المشهور فى التاريخ الطبيعى بكف البصر ، وهو بين الأقلام والمحابر ، مكباً على الدرس والاستطلاع ، فكبر عليه المصاب ، وضاقت الدنيا فى وجهه ، وأسف على فقد أعظم حاسة فى نفسه ، وأشد مايحتاج إليه فى أعماله ، ففكر أن يستعين بخادم عنده سليم العينين ، وقد آنس فيه ميلا للعلم ، ورغبة فى التحلى بحلاه ، فقال له : أعنِّى ياولدى على إتمام تجاربى ، وكن عينى الباصرة ، وأنا أعلم لك معارفك ؟

فقبل الخادم بكل ارتياح طلب مولاه ، وصار لا يفارقه فى تجاربه ودروسه وكان له عينان مبصرتان .

وكان من أثر ذلك أن اكتشف (هوير) وقرر من الفوائد ما لا يمكن تقديره

(١) أى أربع تكبيرات وقوفاً بلا ركوع ولا سجود وهى صلاة الجنازة على الميت .

وكان من مصاحبة الخادم له أن استنارت بصيرته ، وتثقف عقله ، وغرس الميل للعلم فى قلبه .

فلما مات أستاذه دأب على التحصيل ، وأكبّ على درس الشريعة الغراء حتى صار قاضياً مشهوراً ، وبالثناء مذكوراً .

الجهــــلُ عمًى وظُلمة

يحكى أن صانعاً أميًّا شاهد بعض الناس يستعمل المنظار (النظارة) عند ما يطالع أو يكتب ، فظن أن المنظار هو الذى يعرفهم القراءة والكتابة ، فذهب لساعته إلى حانوت بائع المناظير ، وطلب منه منظاراً ، فأراه أنواعاً كثيرةً فأخذ واحداً منها ووضعه على أنفه وفتح كتاباً ليقرأ فيه فلم يعرف شيئاً فقال : هذه النظارة ليست جيدة ، فأحضر له غيرها فوضعها على أنفه ، وصار يجهد نفسه ليعرف ولو حرفاً واحداً ، فلم يميز الألف من الباء ، فقال للبائع ، وهو مقطب الجبين : وهذه أردأ من السابقة فلما ضاق صدر البائع ، وعيل صبره قال للمشترى : أتعرف القراءة والكتابة ؟ أجاب كلا ، لأنى لو كنت عارفاً لما جئت إلى هنا .

فضحك البائع ، وضحك السامعون معه ، وقال له أحدهم :

هـذا الدكان ليس مدرسة ، ولو كان الأمر كما ظننت ما كان فى الدنيا جاهل وأنشد آخر :

« ومن طلب العلوم بغير درس سيدركها إذا شاب الغراب »

فأجاب الرجل : حقاً أن الجهل عمًى وظلمة ، والعلم نور وهدى ، ثم انصرف .

بالعلم يرقى الإنسان إلى أعلى درجات الكمال

مثـــال أول

إن (استيفنسن) مخترع السكة الحديدية ، الذى بلغ من الغنى والمجد مبلغاً عظيماً ، كان فى أول أمره وقّاداً لآلة بخارية ، فلما رأى أن لاسبيل إلى الارتقاء إلاّ بتوسيع معارفه ، جعل يقتصد من دخله القليل ويتعلم فى إحـدى المدارس الليلية ، وينفق مايزيد من دخله فى أجر تعلمه ، وكان كلمـا زاد علماً زادت أجرته وكلما زادت أجرته زاد إنفاقه فى سبيل العلم ، حتى جمع فى رأسه مامكنه من اختراع السكة الحديدية التى كانت سبب ثروته وسعادته .

مثـــال ثان

إن (واط)مستنبط الآلة البخارية كان يحترف بصناعة النجارة ، ويشتغل فى أوقات فراغه بالمطالعة ودراسة العلوم واللغات ، وما زال يدأب على العمل حتى تمـكن من اختراع الآلة .

وهـــذا هو شأن الـكثير من العلماء والحـكماء الذين لم يستكينوا للفقر ، بل حاربوه وجعلوه مرقاةً لبلوغ ذرى المجد ، كما قال الشاعر :

« العلم يرفع بيتاً لا عمـــاد له والجهل يهدم بيت المجد والشرف »

مثـــال ثالث

قال أحد أعضاء البرلمـان الإنجليزى عن نفسه :

كنت فى حداثة سنى أعمل فى منجم من مناجم الفحم الحجرى ، وأجمع

من أجرتى صيفاً ، ما أدفعه أجرة تعلمى شتاء ، وما زال هذا دَيدَنى حتى اتسعت معارفى ، وتمكنت بعلمى من مزاولة أعمال ذات شأن ، ووصلت إلى ما أنا فيه من نعيم وراحة بال .

ولقد صدق من قال :

« العلم زين وتشريف اصاحبه فاطلب هديت فنون العلم والأدبا »
« كم سيد بطل آباؤه نجب كانوا الرءوس فأمسى بعدهم ذنبا »
« ومقرف الآباء ذى أدب نال المعالى بالآداب والرتبا »

مثال رابع

إن (غارفيلد) أحد رؤساء حكومة (الولايات المتحدة) تربى فى فقر ليس بعده من مزيد ؛ ولكنه جنح إلى العلم ، وكان يخدم المزارعين أيام الحصاد ، وينفق بعض أجرته على أمه ، والبعض الآخر يدفعه أجرة المدرسة التى كان يتعلم فيها ، وكان يغتنم ساعات العطلة المدرسية ويساعد النجارين ، ويربح ما يساعده على العيش ، وعلى شراء الكتب النافعة حتى شاع ذكره ، واشتهر اسمه ، والأمريكيون ـ وهم من أغنى الشعوب فى العالم ـ لم يروا غضاضة فى اختيار هذا الرجل الفقير رئيساً لهم .

ثم سهروا عليه فى آخر أيام حياته كما تسهر الوالدة على ولدها ، وأهدوا أسرته من التحف والمال ، ما جعلها طيبة الخاطر مرتاحة البال سعيدة الحال .

مثال خامس

رئيس الولايات المتحدة المستر (هوفر)

قد نشرت الصحف المصرية خبر انتخاب المستر (هوفر) لرياسة الولايات المتحدة بأمريكا ، وتسابقت الشركات البرقية (التلغرافية) فى نشر تفصيل تاريخ حياته ، وفى أنه كان فى بدء عمله بائعاً للصحف ، ولكنه اهتدى بفضل ذكائه وعلمه ، إلى من يأخذ بيده ، ويمهد له السبيل فى إنماء ذكائه ، وتوسيع مداركه ، وتكوين شخصيته حتى ارتفع من الحضيض إلى القمة الاجتماعية والدولية ، وقام على رأس الملايين من أبناء الأمة الأمريكية ، ينعم بمقدرة وسلطان ، لا ينعم بهما ملك على وجه الكرة الأرضية .

(وهكذا تقدر الرجال بالأعمال) ، ويبلغون بالذكاء والعلم غاية السعادة ومنتهى الآمال .

التلميذ المجتهد

مرّ تلميذ بإحدى السيدات وهو يبكى ، فسألته عن سبب بكائه . فقال : إن المعلم أمرنا بحفظ قصيدة كبيرة ، ووعد من يتقن حفظها ويجيد إلقاءها بمكافأة عظيمة ، ولكنى بطىء الحفظ ، وأخشى وصول المكافأة لغيرى ، مع رغبتى الشديدة فى الحصول عليها .

فقالت له السيدة : ألم ترَ هذا النمل كيف يحاول الصعود فوق الشجرة مع بطء حركته وبعد المسافة عليه ؟ ولكن باجتهاده المستمر وتركه جميع ما يشغله وصل إلى مقصده ، فإذا حفظت كل يوم جزءاً من القصيدة تاركاً كل ما يشغلك

غير مبال بما تظن من بطء الحفظ ، فإنك تنال المكافأة لامحالة ، فعمل التلميذ بهذا الرأى السديد ، واستمرّ فى الحفظ حتى حفظ القصيدة كلها حفظاً جيداً .

ولما أتى وقت الامتحان ، أجاب التلميذ المجتهد إجابة أعجبت المعلم والتلاميذ ، فنال المكافأة ، وحاز الثناء الجميل .

وقد جاء فى الحكم : (لكل مجتهد نصيب ـ ومن جدّ وجدَ ـ ومن سار على الدرب وصل) .

التلميذ المهمل الكسلان وسوء عاقبته

جلس عثمان مرةً يتحدث مع بعض أقارب ، و بعد أن تداولوا فى موضوعات مختلفة ، دخل عليهم ولد له ، عمره نحو عشرين سنة وناوله جريدةً يومية ففتحها ، فإذا فيها نتيجة امتحان الشهادة الابتدائية ، وكان فى جملة الممتحنين ابن أخ له لم يرَ اسمه بين أسماء الناجحين ، فقال : ياترى ماسبب سقوطه ، وهو قد اشتغل كثيراً ؟

فقال بعض الحاضرين ممن كان يعرف الولد المذكور حق المعرفة :

لا عجب فى ذلك ، وإن كان قد اشتغل كثيراً ولكن لم يشتغل بجد إلا فى هذه السنة ، أما فى السنوات الماضية فطالما رأيناه يهمل دروسه ، بل لا يهتم بها تقريباً ، فإذا لا تستغربوا عدم نجاحه فى الامتحان ، بل تأسفوا على تلك الأيام الثمينة ، التى أضاعها فى اللهو والبطالة والكسل ، وهذه عاقبة كل

من ضيّع وقت صغره فى اللعب ، والكسل ، وضرب صفحاً عن المستقبل ، وهذا ينطبق عليه قول الشاعر :

« اطلب العلم ولا تكسل فما   أبعد الخير على أهل الكسل »

الفرق بين التلميذ العالم ، والتلميذ الجاهل

سأل معلم تلميذاً بليداً متقدماً فى السن ، فقال له :

مَن خلقك ؟ فاحتار التلميذ فى أمره ، وأخذ يلتفت يميناً وشمالاً بدون أن يجيب ، فكرر المعلم السؤال ، وألح فى طلب الجواب ، فأجاب التلميذ متردداً : لقد خلقنى أبى وأمى .

فاستغرب الأستاذ هذا الجواب ، وتعجب من جهل هذا التلميذ

ثم سأل تلميذاً آخر صغير السن السؤال نفسه .

فأجابه : إن الله خلقنى ، وصورنى ، وأحسن صورتى ؛ بدليل قوله تعالى : « لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ » .

فقال له المعلم : لقد أحسنت الجواب أيها التلميذ النبيه .

ثم قال للتلميذ الكبير : هذا أصغر منك سناً ، وقد أحسن الجواب فلماذا لم تجب قبله .

قال : لأنى ولدت من زمن طويل ، ولذلك قد نسيت مَن خلقنى ، أما هذا الولد الصغير ، فولد من عهد قريب ، ولذلك لم ينس خالقه ، فضحك المعلم والتلاميذ ، وحكموا بجهله ، وسخافة عقله ، وأنشد قول الشاعر :

« أخو العلم حىّ خالد بعد موته   وأوصاله تحت التراب رميم »

« وذوا الجهل ميت وهو ماش على الثرى　　يظن من الأحيـــاء وهو عديم »

الغنى العـــاقل المتعلم

مرض تاجر غني وشعر في نفسه بدنو أجله ، وانقضاء عمره ؛ فاستدعى ولداً له وأوصاه ؛ فقال : ياولدى العزيز إن ورثتني وفزت بثروتي ، فلا تهمل تعليمك ، وتهذيب نفسك ، وتدريبها على عمل من الأعمال ، فقد يذهب الذهب وتزول دولة الغنى ، ولا ترى نصيراً تلجأ إليه في الفـاقة ، وتستغيث به لدى الحاجة ، فلا يبقى لك سوى ما اكتسبت من العلم والمعرفة ، وما علمته بالممارسة واقد صدق من قال :

« بالعلم والعقل ، لا بالمـال والذهب　　يزداد رفع الفتى ، قدراً بلا طلب »
« كم يرفع العلم ، أشخاصاً إلى رتب　　ويخفض الجهل ، أشرافاً بلا أدب »
« العـــلم كنز فلا تفنى دخائره　　والمرأ ما زاد علمـــاً زاد بالرتب »
« فالعلم ، فاطلب لـكي تحظى بجوهره
كالقوت للجسم ، لا تطلب غنى الذهب »

الغنى الجـــاهل وعدم تقديره للعلم

جاء أحد الأغنياء إلى حكيم من حكماء اليونان ، والتمس منه أن يتعهد ابنه بالتربية والتعليم ، فطلب الحـكيم أن ينقده خمسمائة قطعة من النقود الفضية مقابل التعليم ، فاستعظم الغنى ذلك المبلغ الحقير في جانب تلك الخدمة الجليلة ، وقال وهو حاقد :

إن فى استطاعتى أن أشترى عبداً بأقل من ذلك .

فاستقبح الحكيم بخل ذلك الرجل وجهله وقال له :

أولى لك أن نشترى عبداً كى تصبح مالكاً لعبدين .

وقد قصد الحكيم بذلك أن الإنسان الجاهل مثله كمثل العبد الذى يشترى ويباع ، وليس العبد من يستعبده غيره ، بل من يُستعبد لجهله .

بالاجتهاد ينال المراد

يحكى أن فتًى كان يدرس علم الجبر استعداداً للدخول فى إحدى المدارس العالية ، فأعطاه المعلم ثلاث مسائل ، وطلب منه حلها ، فأتى فى اليوم الثانى وقد حل اثنتين منها ، وأما المسألة الثالثة فاستعصى عليه حلّها ، فقال له معلمه : أتريد أن أحلها لك ؟ فأجابه الفتى : كلا يا أستاذى ، فإنى أستطيع حلها بنفسى إذا أمهلتنى يوما آخر .

فقال له المعلم : أمهلك يومين ؛ بل أياماً .

واستمرّ يعطيه دروساً كان يقوم بها الطالب ، وأما المسألة الثالثة فبقيت ممتنعة عليه .

فقال له المعلم : أتريد الآن أن أعلمك حلها ؟

فأجابه : كلا فإنى أستطيع إذا أمهلتنى يوماً ثالثاً .

فقال له المعلم : إننى أمهلك أياماً حسبما تريد .

ثم جاء فى اليوم الثالث وعلامات الظفر بادية على وجهه ، وعرض حلها على معلمه ، فإذا هو صحيح محكم .

ومن ثم تولدت فيه روح البحث ، والاستقلال بالعمل ، وأخذت تزداد عنده محبة العلوم الرياضية ، فتعلق بها ، وغاص فى بحـرها ، واستخرج منها الدرر الغوالى ، وأصبح من أشهر الرياضيين ، وحقاً لقد صدق من قال :

« لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصـابر »

المداومة على الدرس ، وعدم اليأس

كان تلميذ فى المدرسة يقرأ فى دروسه كثيراً ، ولـكنه لم يحفظها فسئمت نفسه من القراءة ، وعزم على ترك المدرسة ، و بينما هو واقف ذات يوم على شاطىء نهر يفـكر فى أمره ، وقع نظره على طفل يريد أن يتعلم السباحة فرآه فى المرة الأولى قطع جزءًا صغيراً ، ثم عاد إلى الشاطىء و بعد أن استراح قطع جزءًا أكبر منه ، واستمر هكذا يزيد شيئاً فشيئاً ، حتى اجتاز النهر بأجمعه فى المرة الأخيرة فاتّعظ به ، وقال لنفسه : إن هذا الطفل أمكنه أن يتمم مقصده ، بمداومته على السباحة فـكيف بك وأنت أكبر وأعقل منه ؟ وعلم أنه مخطىء فى رأيه وعاد إلى المدرسة وأتم دراسته ، ونجح نجاحاً باهراً وفهم معنى المثل: (من صبر وتأنى ، نال ماتمنى) وقول الشاعر :

« وقلّ من جدّ فى أمر يحـاوله واستصحب الصبر إلا فاز بالظّفَرِ »

المرء بعلومه ومعارفه ، لا بشكله وملبسه

كان فلاح بسيط مشتغلا بالعلوم والمعارف ، قصير القامة ، لابساً حذاءً طويلاً ، وعمامة كبيرة ، و بيده عصـاً غليظة ، تقدم للامتحان مع الأقران ،

فبمجرد دخوله فى قاعة الامتحان سخر منه الطلاب ، ووجهوا إليه سهام النقد والعتاب ، وهو لم يلتفت إليهم ؛ بل وجه التفاته ونظره إلى الممتحِن وكيفية الأسئلة ، ولبث فى مكانه حتى جاء دوره .

فلما تقدم أمام حضرات الأساتذة ، اشرأبَّتْ له الأعناق ، وتوجهت إليه الأنظار ، والكل صاغ لما يقول .

فكان كلما وُجِّهَ إليه سؤال أجاب عليه بكل دقة و إحكام ، بدون توقف أو تلعثم فى اللسان ، حتى ظهر فضله و بان علمه ، وأعجب الحاضرون بذكائه وثباته وحسن إجابته، وكانت نتيجته أنه حاز الدرجة الأولى، واعترف أقرانه له بكفاءته واستعداده وأيقنوا أنهم أخطأوا فى حكمهم عليه بالجهل والاستهزاء ، وعلموا بأنه من الواجب ألا يحكم الإنسان على أحد بظواهره ، أى بشكله وملبسه ؛ بل بعلومه ومعارفه الدالة على قيمته ودرجته ، (وقيمة كل امرئ ما يحسنه) وهذا عملا بقوله تعالى :

﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ﴾

وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » .

مثـــال

عن الإمام الشافعى رضى الله عنه واجتهاده فى تحصيل العلم من صغره

قال : كنت يتيما فى حجر أمى ، ولم يكن لها مال ، وكان المعلم يرضى من أمى (أجراً له) أن أخلفه إذا ذهب فلما حفظت القرآن ، دخلت المسجد فكنت

أجالس العلماء فأحفظ الحديث أوالمسألة ، وكانت دارنا بمكة فى شعب (الخيف) وكنت فقيراً بحيث لا أملك أن أشترى القراطيس ، فكنت أكتبُ فى العظم فإذا كثر طرحته فى جرة عظيمة . (توالى التأسيس بمعالى ابن إدريس)

يستخلص من هذه الحكاية أن العلم يرفع قدر الفقير ، وأن الفخر ليس بالغنى ، وأن طالب العلم على صغره أو فقره ، يمكنه أن يحظى بمجالسة العلماء والعظماء ، وأن الفقر واليتم لا يعوقان عن طلب العلم .

فعلى التلميذ الغنى أو الفقير أن يجتهد فى تحصيل العلم .

مثال

عن احترام وتعظيم الإمام الشافعى لعلمه وفضله

ركب الشافعى رضى الله عنه حماراً فمرّ على سوق الحذّائين (صانعى الأحذية) فسقط سوطه من يده ، فوثب غلام من الحذائين فمسح السوط بكمه وناوله إياه ، فقال الشافعى لغلامه : ادفع تلك الدنانير التى معك لهذا الفتى وكان عددها تسعة دنانير .

يستخلص من هذه الحكاية مقدار احترام الناس للشافعى ، وحبه مكافأة من خدمه ، وفى هذه المكافأة معنى الشكر للغلام الذى ناوله السوط .

تقدير العلماء لقيمة العلم

لما ختم (حماد) ولد أبى حنيفة النعمان سورة الفاتحة أعطى المعلم خمسمائة درهم . وقيل : ألف درهم .

فقال له المعلم : ماصنعت حتى أرسلت إلىّ هذا ؟

فأحضره أبوحنيفة واعتذر إليه وقال : لا تستحقر ماعلمت ولدى والله لوكان معنا أكثر من ذلك لدفعناه إليك تعظيما للقرآن .

تواضع الرشيد للعلم وتعظيمه للعلماء

يحكى أنه لما جاء (هارون الرشيد) إلى المدينة المنورة ، التى دفن بها النبي صلى الله عليه وسلم وكان يعلم أن بها سيدنا (مالكاً) رضى الله عنه ، وهو الإمام العالم الكبير ، وله كتاب فى الحديث يسمى (الموطأ) يقرأه على الناس فيتعلمون منه . فأراد الخليفة أن يتعلم عليه ، فأرسل إليه يطلب منه إحضار الكتاب ليقرأه على أمير المؤمنين .

فقال الإمام مالك لرسول الخليفة : أقرئه السلام وقل له :

(إن العلم يسعى إليه طلابه بأنفسهم ، ولايجىء إليهم) .

ثم قام الإمام مالك وتوجه إلى أمير المؤمنين ، فقال له الخليفة : كيف أرسل إليك فتخالفنى ؟

فقال له مالك : إنى أريد أن أمير المؤمنين يرفع العلم ويعظمه حتى يرفع الله قدره .

فقام الخليفة ومشى مع مالك إلى منزله ليسمع منه كتاب الموطأ فأجلسه معه على المِنَصَّة .

فلما بدأ فى القراءة قال مالك رضى الله عنه لهارون الرشيد : ياأمير المؤمنين أدركت أهل العلم ببلدنا وإنهم ليحبون التواضع للعلم .

فنزل الرشيد عن المنصة فجلس بين يديه ·

طلب العلم قد يفضل العبادة

والمجتهد فى تحصيل العلم ينفع الناس أكثر من العابد

كان الإمام أحمد بن حنبل يعظم الإمام الشافعى رضى الله عنهما ويذكره كثيراً ويثنى عليه لعلمه وفضله ، وكانت له ابنة صالحة تقوم الليل وتصوم النهار وتحب أخبار الصالحين الأخيار ، وتودُّ أن ترى الشافعى لتعظيم أبيها له فاتفق مبيت الإمام الشافعى عند أحمد رضى الله عنهما فى وقت ، ففرحت البنت بذلك طمعاً فى أن ترى أفعاله ، وتسمع أقواله ، فلما كان الليل ، قام الإمام أحمد إلى أداء صلاته وذِكْره ، والإمام الشافعى رضى الله عنه مستلق على ظهره ، والبنت ترقبه إلى الفجر .

فقالت لأبيها : رأيتك تعظم الإمام الشافعى ، وما رأيت له فى هذه الليلة صلاة ولا ذكراً ولا ورداً .

فبينما هما فى الحديث إذ قام الشافعى فقال له أحمد : كيف كانت ليلتك ؟ فقال مارأيت ليلة أطيب منها ولا أبرك ، ولا أربح .

فقال : كيف ذلك ؟

قال : لأنى رتبت فى هذه الليلة مائة مسألة وأنا مستلق على ظهرى كلها فى منافع المسلمين ، ثم ودعه ومضى ،

فقال أحمد بن حنبل لابنته : هـذا الذى عمله الليلة وهو نائم أفضل مما عملته وأنا قائم . (نور الأبصار)

قال أحمد بن حنبل رضى الله عنهُ : ماصليت صلاةً منذ أربعين سنة إلا وأدعو للشافعى ، فقال له ابنه : ياأبتِ ، أى رجل كان الشافعى حتى تدعو له كل هذا الدعاء ؟

فقال الإمام أحمد : يابنىّ ، (كان الشافعى كالشمس للدنيا ، والعافية للناس) فانظر يابنى هل من هذين خلف ؟ (الروض الفائق)

يستنتج من هذه الحكاية أن طلب العلم قد يفضل العبادة ، وأن المجتهد فى تحصيل العلم ينفع الناس أكثر من العابد ، وأن الإمام الشافعى كان عظيم القدر لعلمه ، وأن فائدته كانت كالشمس للدنيا ، والعافية للناس .

العلم النافع ، أمان من الفقر

قال صاحب الفرج بعد الشدة (أبو على المُحَسن) :

حدثنى أبى ، قال : بلغنى من غير واحد أن أبا يوسف (قاضى القضاة) صحب أبا حنيفة على فقر شديد ، وكان ينقطع بملازمته على طلب المعاش ، فيعود إلى منزله على جَهْد . وكانت أمه تحتال بما يقتاتون به يوماً بيوم ، فلما طال ذلك عليهم خرج إلى المجلس يوماً فأقام فيه وعاد ليلاً وطلب مايأكل ، فجاءته بصحفة من الطين الحرّ مغطاة فكشفها فإذا فيها دفاتر ، فقال : ماهذا ؟ قالت : ما أنت مشغول به نهارك أجمع ، فكل منه ليلاً ، فبكى وبات جائعاً ؛ وتأخر من غد عن المجلس حتى احتال فيما أكلوه .

فلما جاء إلى أبى حنيفة سأله عن سبب تأخره ، فصَدقه ، فقال : هلّا عَرّفتنى فكنت أمدّك ، ولا يجب أن تغتم فإنه إن طال عمرك فستأكل بالفقه

(اللَّوْزَيَنْجَ) نوع من الحلوى شبه (القطائف) يؤدم بِدُهن اللوز ، وبالفستق المقشّر .

قال: أبو يوسف : فلماخدمت الرشيد ، واختصصت به قُدِّم بحضرته يوماً (لَوْزَيَنْجْ) بفستق مقشر ، فدعاني إليها ، فحين أكلت منها ذكرت أباحنيفة فبكيت ، وحمدت الله تعالى ، فسألني الرشيد عن السبب فأخبرته .

(نزهة القارىء)

حكايات وأمثال

فى ضرورة العمل وفضله

١ — لنضرب لكم مثلاً برسول الله ﷺ (ولكم فى رسول الله قدوة حسنة فى القيام بالعمل) :

جاء فى الأثر أن رسول الله ﷺ فى غزوة الخندق اشترك مع المهاجرين والأنصار فى حفر الخندق وعمل فيه ، فكان أحياناً يحمل معهم التراب ، وأحياناً يحفر ، وأحياناً ينشد نشيداً ينشط به العاملين ، وهم يجيبونه بآخر .

روى البخارى : أن الصحابة كانوا يحفرون وينقلون التراب على ظهورهم ورسول الله ﷺ ينشدهم قول عبد الله بن رواحة :

« اللَّهم إن العيش عيش الآخرة   فاغفرِ للأنصار والمهاجرة »

وقوله :

والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينةً علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الذين قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

وكان الصحابة يجيبون بعد كل بيت ينشده بقولهم :

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

« عن كتاب السمير الواعظ »

ويقول مؤلف الكتاب الشيخ محمد محمد يوسف :

قد سنّ نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام في العالم الإنساني اشتراك الرؤساء والعظماء في العمل مع من يعمل تحت سلطانهم ونفوذهم ، ثم خفف عن العاملين التعب والنصب بما كان ينشده من الرجز ليرددوا فيسهل العمل ويحمل، فيذهب الضجر والملل .

فهل نص التاريخ على أن عظيمًا من عظماء أى دولة فيما مضى أو فى هذا العصر الذى يسمونه (عصر العمل والعمال) فعل كما فعل رسول الله ﷺ مع شعبه وقومه ؟ اللّهم : لا .

(فالإسلام هو مهد الحضارة الحقة والحرية الكاملة ، والعدالة الشاملة وهو دين الإخاء والمساواة ، وليس له فى ذلك شريك) .

٢ ـ وعن أنس بن مالك قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فشكا إليه الفاقة ، ثم رجع فقال : يا رسول الله لقد جئتك من أهل بيت ما أراني أرجع إليهم حتى يموت بعضهم .

فقال له : « انطلق هل تجدمن شيء ؟ » فانطلق فجاء بحلس وقدح فقال يارسول الله ، هـذا الحلس [١] كانوا يفرشون بعضه ويلبسون بعضه ، وهذا القدح كانوا يشربون فيه .

فقال رسول الله ﷺ : « مَن يأخذها منى بدرهم ؟ »

فقال رجل : أنا يارسول الله .

فقال ﷺ : « من يزيد على درهم ؟ » فقال رجل : أنا آخـذها باثنين فقال : « هما لك » .

فدعا الرجل فقال : « اشتر فأساً بدرهم، و بدرهم طعاماً لأهلك» . قال: نفعل، ثم رجع إلى النبي ﷺ فقال : « انطلق إلى هـذا الوادى فلا تدع حاجاً ولا شوكاً ولا حطباً ولا تأتنى خمسة عشر يوماً » فانطلق فأصابه عشرة دراهم ، ثم جاء إلى النبي ﷺ فأخـبره ، فقال : « انطلق فاشتر بخمسة دراهم طعاماً ، و بخمسة كسوة لأهلك » .

فقال : يا رسول الله لقد بارك الله فيما أمرتنى .

فقال : « هذا خير من أن تجيء يوم القيامة فى وجهك نكتة المسألة ، إن المسألة لا تحل إلا لثلاثة : لذى دم موجع ، أو غرم مفظع ، أو فقر مدقع » .

٣ ـ وقال جابر رضى الله عنه : دخل النبي ﷺ على ابنته فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من و بر الإبل ، فبكى وقال : تجرعى يافاطمة مرارة الدنيا ، لنعيم الآخرة .

---

(١) الحلس : اسم لما يبسط فى البيت تحت حر الثياب .

٤ ـ وسُئل النبي ﷺ عن أطيب الكسب ، فقال : « عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور »

٥ ـ وجاء رجل من قريش لرسول الله ﷺ يطلب مالاً فأعطاه ثم قال له : « اليد العليا ، خير من اليد السفلى » .

فحلف الرجل ألَّا يسأل أحداً بعد رسول الله ﷺ وأقبل على العمل فأغناه الله من الحلال .

وهناك أحاديث كثيرة فى الحث على العمل :

منها ، قال عليه الصلاة والسلام :

« احرث لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واحرث لآخرتك كأنك تموت غداً »

وقيل : إنه لعمر بن الخطاب ، وليس بحديث .

وقال عليه الصلاة والسلام فى معرض الحث على العمل ، والسعى على الرزق : « إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها إلا الهمُّ فى طلب المعيشة » .

وقال ﷺ :

« من طلب الدنيا حلالا وتعففاً عن المسألة (الشحاذة) وسعياً على عياله ، وتعطفاً على جاره ، لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر » .

وقال عليه الصلاة والسلام :

« إن الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغنى بها عن الناس » .

وقال : « إن الله يحب المؤمن المحترف » .

٦ ـ وروى البخارى أن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت :

تزوجنى (الزبير) وماله فى الأرض من مال ولا مملوك ولا شىء غير ناضحه (البعير الذى يستقى عليه) وغير فرسه ، فكنت أعلف فرسه ، وأستقى الماء ، وأخرز غربه (الدلو العظيم) وأعجن ، ولم أكن أحسن أن أخبز ، فكان يخبز لى جارات من الأنصار ، وكنّ نسوة صدق ، وكنت أنقل النوى (من أرض الزبير التى أقطعها له رسول الله ﷺ) على رأسى ، وهى منى على ثلثى فرسخ فجئت يوماً والنوى على رأسى ، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار فدعانى ثم قال : أخ ، أخ ، ليحملنى خلفه ، فاستحييت أن أسير مع الرجال ، وذكرت الزبير وغيرته ، وكان أغير الناس . فعرف رسول الله ﷺ أنى قد استحييت فمضى .

فجئت الزبير فقلت : لقينى رسول الله ﷺ وعلى رأسى النوى ومعه نفر من الصحابة فأناخ : لأركب معه ، وعرفت غيرتك . فقال : والله لحملك النوى كان أشد من ركوبك معه .

قالت : حتى أرسل إلى أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفينى سياسة الفرس فكأنما أعتقنى .

يقول المؤلف : تلك قصة صغيرة تنطق بالكبير من المُثل الصالحة وهى ترينا :

١ ـ كيف كان القوم بثاقب نظرهم يتخيرون زوجاً لبناتهم لا يعبأ أحدهم بمال أو رياش من حطام الدنيا الذى ينضب و يعين ؟

فهاهى أسماء بنت أبى بكر الصديق يزوجها أبوها من رجل لا يملك غير

بعير يستقى عليه ، وفرس للجهاد . ومَن الرجل ؟ هو سيف الله (الزبير) أحد العشرة المبشرين بالجنة .

٢ ــ كيف يتعاون الأزواج فى هذه الحياة ويحمل كل قسطا من متاعها حتى يهون الخطب ؟

٣ ــ كيف تكون المرأة أمينةً وحريصةً على خدمة زوجها وراحته حريصةً على حفظ عرضه ، ومراعاة غيرته فى حضوره وغيبته ، متحليةً بخلق الحياء ، وهو أجمل ما يتحلى به كرائم النساء ؟

٤ ــ كيف يألم الرجل لنصب زوجه ، ويواسيها بالكلم الطيب ، ويقدرها قدرها ويكبر عليه أن يجدها فى مشقة ؟

٥ ــ كيف يتآزر الجيران ويتوادون ؟

٦ ــ كيف يعرف لكل ذى فضل فضله ، ولا يغمط حقه ؟

فهاهى (أسماء) رضى الله عنها تثنى خيراً على صويحباتها من الأنصار وتذكر معروفهن ، وتصفهن بأنهن كن نسوة صدق ، ونعم الثناء .

٧ ــ ما يجب أن يكون عليه الرجال من الغيرة على النساء حتى تصان العفة ، ولا تتبذل قاصرة الطرف .

هذا ويكاد القلب يتمزق أسفاً على أهل هذا الزمن !

(فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم) .

٨ ــ لنضرب لكم مثلا بسيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه وهو : أنه لما صار خليفة المسلمين ، وأصبح ذاهباً إلى السوق ، وعلى عنقه أثواب

يتجر فيها ، فلقيه سيدنا عمر ، وأبو عبيدة فقالا له :

إلى أين تريد يا خليفة رسول الله ﷺ ؟

فقال لهما : إنى ذاهب إلى السوق .

قالا له : فماذا تصنع ، وقد وليت أمر المسلمين ؟قال : فمن أين أطعم عيالى؟

فانظروا رحمكم الله ، إلى سيدنا أبى بكر مع كونه كان خليفة المسلمين لم يتكبر على العمل ، وأرادأن يذهب إلى السوق ليتجر فى الثياب ، لعلمه أنه لا بد للإنسان من عمل يعمله ليكسب منه قوت يومه .

٨ — دخل الإمام عمر رضى الله عنه المسجد فوجد رجلا لا عمل له ، فانتهره وضربه بالدرة ، وحضه على العمل ، وقال له : مَن يعولك ؟ قال : أخى قال : أخوك أعبد منك .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الحث على العمل :

« لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول : اللهم ارزقنى فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضةً » .

والآثار والأقوال فى باب فضل العمل والسعى على اكتساب المال الحلال يضيق عنها الحصر .

وكفى قول الله تعالى فى السعى وطلب الرزق .

« فَانْتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ » .

وقال فى تقسيم الأعمال والمساعى :

« نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بعضٍ دَرَجَاتٍ »

٩ ــ وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول :

« يا أيها الناس كتب عليكم أن يأخذ أحد كم ماله فيتقى فيه من فضل الله عز وجل ، فإن فيه العبادة والتصديق . وايم الله لأن أموت فى شعبتى رحلى وأنا أبتغى من فضل الله ، أحب إلىّ من أن أموت على فراشى » .

ولو قلت: إنها شهادة، لرأيت أنها شهادة دالة على عظمة عمر رضى الله عنه ، يرى العمل والموت فى سبيله كأنه شهادة فى سبيل الله .

١٠ ــ وكان سيدنا عثمان رضى الله عنه من أزهد الناس ، ولكن كان يعمل فى التجارة فيعطيه الله ربحاً حلالاً جزيلاً .

وناهيك بكبار الصحابة رضوان الله عليهم فإنهم مع ورعهم كانوا يعملون لكسب المال من طرقه المشروعة لعلمهم أن الإسلام فى حاجة إلى أموال تصرف فى سبيله .

١١ ــ ولنضرب لكم مثلاً ثانياً بسيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه:

حكى سيدنا على عن نفسه قال : جُعت بالمدينة جوعاً شديداً ، فخرجت أطلب العمل فى عوالى المدينة (موضع قريب من المدينة) ، فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدراً (حصى) فظننتها تريد بَلَّه ؛ لتصنع منه طيناً هى فى حاجة إليه ، فجئتها وأعطيتها كل دلو بتمرة ، فمددت ستة عشر ذنوباً (أى دلواً له ذنب) حتى مجلت يدى (أى يبست) ثم جئتها ، فقلت بكلتا يدى ؛ هكذا بين يديها

(و بسط يديه جميعاً) فعدّت لى ست عشرة تمرة فجئت النبى ﷺ فأخبرته، فأكل معى ، وقال خيراً ، ودعا لى .

فانظر كيف تواضع سيدنا على ، حتى اشتغل للمرأة بالأجر،وكيف خدمها ولم يعتمد على أحد فى الحصول على التمر منها ، وكيف اشترك معه النبى ﷺ فى أكل التمر ، لأنه مال حلال .

فنستخلص من ذلك ، أن الإنسان ينبغى له ألاَّ يأكل إلا من عَرَق جبينه ومن مال حلال ، وألاّ يستحى من عمل يستفيد منه أجراً ؛ وأن يجتهد فى العمل للحصول على نفقاته .

١٢ ـ ولنضرب لكم مثلاً آخر بالسيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ فإنها كانت تشتغل بنفسها ، وذلك أنها كانت تطحن الحبَّ بنفسها على الجاروشة (الرحى) كما كانت العرب فى أيامها تفعل .

وفى يوم جلست تطحن،فسال الدم من أصابعها ،فشكت ذلك إلى زوجها الإمام على بن أبى طالب (كرم الله وجهه) فقال لها : قولى لأبيك يحضر لك خادمة ، فذهبت إلى النبى ﷺ وقالت له : يارسول الله إنى مفتقرة إلى خادمة تعيننى على أشغالى ، وتساعدنى فى أعمالى ،فنصح لها النبى ﷺ بأن تعمل كل أعمالها بنفسها ، وعلمها دعاء كان يزيل عنها تعب العمل ، وقال لها قولى :

سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر (ثلاث مرات)

وعاشت بدون خادمة .

١٣ ـ وكان أبو يوسف الغسولى يقول : إنه ليكفينى فى السنة اثنا عشر

درهماً لكل شهر درهم، وما يحملني على العمل إلا ألسنة هؤلاء القراء يقولون: أبو يوسف من أين يأكل ؟

ومن لطف أبي يوسف هذا ودقته في الفهم قوله :

(أنا أنفقه في مطعمي من ستين سنة) .

فهو في عمله لطعامه يرى أنه ينفقه ويتدبر ولا ينسى الله وذكره .

١٤ – ومرّ (سفيان الثوري) بقوم جلوس في المسجد الحرام ، فقال لهم: ما يجلسكم ؟ قالوا : فما نصنع ؟ قال : اطلبوا من فضل الله ولا تكونوا عيالاً على المسلمين .

١٥ – وخرج (سفيان الثوري) إلى اليمن يتجر ورأس ماله سبعون ديناراً ولما مات خلف مائتي دينار . فسأل سائل : من أين كان له مائة دينار وهو زاهد العلماء ؟

فقال (يوسف بن أسباط) : كان يضع الشيء بعد الشيء مع إخوانه فبورك له فيه .

١٦ – وكان الإمام (أحمد بن حنبل) يعمل بيده ويسوي تراب أرضه وربما أخذ القدوم وخرج إلى دار السكان يعمل ،وكان يأمر أولاده أن يختلفوا إلى السوق ، وأن يتعرضوا للتجارة ، وأصحابه من المالكين أن يلزموا ضياعهم.

١٧ – وسُئل (الفضيل بن عياض) عن الرجل يقعد ينتظر الرزق في بيته ثقةً بالله ؟ فقال : لم يفعل هذا الأنبياء ولا غيرهم ، فقد كان الأنبياء يؤاجرون أنفسهم ، وكذلك آجر النبي ﷺ نفسه ، وأبو بكر ، وعمر . يقول الله تعالى :

« وَٱبْتَغُوا مِنْ فَضْلِ ٱللهِ » فلا بد من طلب المعيشة .

١٨ ـ وكان (إبراهيم بن أدهم) يستقى و يرعى و يعمل بالكراء ويحفر البساتين والمزارع ، و يحصد بالنهار و يصلى بالليل .

١٩ ـ وقيل (لمحمدبن مهران) : إن هٰهنا اقواماً يقولون : نجلس فى بيوتنا وتأتينا أرزاقنا .

فقال : هؤلاء قوم حمقى ،و إن كان لهم مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن فليفعلوا .

(عن كتاب السمير الواعظ)

العمل خير من الشحاذة

شكا رجل إلى النبي ﷺ شدة الفقر : فقال له : أما عندك شىء ؟ قال : لا ، فأعطاه درهمين ، وقال له : اذهب فاشتر بأحدهما طعاماً ، و بالآخر فأساً ، واحتطب ، و بع .

فغاب الرجل خمسة عشر يوماً ، ثم أتى فقال : بارك الله فيما أمرتنى به ، اكتسبت عشرة دراهم ، فاشتريت لأهلى بخمسة طعاماً ، و بخمسة كسوة . فقال ﷺ : هذا خير من المسألة (الشحاذة) .

الحقير من الأعمال
أفضل من ذل السؤال

قال أحد العلماء : مررت بفقير ، فسألنى صدقة فأعطيته قرشاً ، وفى هذا

الوقت مرّ بنا رجل طاعن فى السن ، فلما رآنى أنقد الفقير القرش ، دنا منا ، وقال للمتسول :

لمَ تتعاطى هذه الحرفة الدنيئة ، وتصبر على ذل السؤال ، ولا ربح لك من ذلك ؟

فإن شئت أدلك على طريقة يحصل لك بها الغنى ، فلا يمضى عليك زمن حتى يبلغ دخلك ألف جنيه سنوياً ، فاستغرب بنا هذا الحديث ، وحسبناه ضرباً من الهذيان ، فضحك الفقير ، ولم أتمالك نفسى من الضحك . فقال الرجل : تضحكان لأنكما تستغربان كلامى ، فمتى وقفتما على حقيقة أمرى ، ثبت لكما أنى لم أبالغ فيما قلت ، فإننى كنت فقيراً لا أملك ماأسد به رمقى ، فعوضاً عن أن أقف بالأبواب والطرق ، ذليلاً متسولا أنتظر رحمة المارين ، وأصبر على احتقارهم لى ، وطّنت نفسى على العمل فى طلب الرزق من أبوابه المشروعة ، فأخذت أدور فى الأزقة والأسواق ، أجمع الخرق القديمة وأبيعها ، وأتعيش باقتصاد من ثمنها ، وأدخر ماتيسر .

وما زلت على هذه الحال ، من الجد والمثابرة ، حتى تمكنت من توسيع نطاق عملى ، واتخذت لى فيه أعواناً . وما مضى علىّ خمسة أعوام حتى صرت شريكاً لتاجر من تجار الورق .

وهكذا أخذت أرقى معارج النجاح ، والنشاط أليفى ، والاجتهاد حليفى ، حتى أصبحت من أكابر الأغنياء ، كل ذلك بفضل العمل .

قال الرجل هذا ، ومضى فى سبيله ، وبقى المتسول فى مكانه واجماً مفكراً

وانصرفت أنا فى جهتى .

مضى على هذا الحادث عشرة أعوام ولم أعد أفكر فيه حتى طوحت بى الأسفار إلى جهة بعيدة ، وأدتنى الصدفة إلى إحدى المكتبات فيها لشراء بعض الكتب ، فلما دخلت فى المكتبة ، ووقعت عينى على صاحبها ، داخلنى الشك فى أنه الرجل المتسول .

فتأملت الرجل وتأملنى هو أيضاً ، فعرفته فى الحال وعرفنى ، وما كان إلا هو ، فكان فرحنا باللقاء عظيما ، ولقد سرنى ما وجدته عليه من حسن الحال بعد ذلك التسول ، ولما سألته كيف وصل إلى ذلك ؟ أخبرنى أن كلام الرجل أثر فيه ، ووقع من نفسه موقعاً جليلا ، فعدل من ذلك اليوم عن حرفة التسول إلى طريق العمل ، فاقترنت مساعيه بالتوفيق والنجاح ، وتمكن بجهده واجتهاده مع جمع المال ، فاشترى هذه المكتبة وهو يعيش الآن فى أحسن حال وأنعم بال ، وذلك كله بفضل الجد فى الأعمال .

العمل كنز

حكى أنه كان لرجل حديقة يشتغل فيها هو وأولاده ؛ فلما قربت منيته جمع أولاده ، وقال لهم : إن فى حديقتنا هذه كنزا عظيما ، وسأموت تارككم وشأنكم ، فابحثوا عنه يا أولادى لعلكم تعثرون عليه ، وتهتدون إليه ، وإذا وجدتموه فأنتم من السعداء ، فثابر الأولاد على العمل بعد موت أبيهم بجد ونشاط وأخذوا يقلبون أرض الحديقة ، ظهراً لبطن فتحسن الزرع عما كان قبلاً ، ونما المحصول ، ولكنهم لم يجدوا الكنز الذى يبحثون عنه ففطن ذكى منهم وقال:

إن أبانا لم يرد بالكنز مالاً ، بل أراد بحفرنا فى الأرض أن نصلح التربة ، ليحسن الزرع ويزيد المحصول ، ولا يكون ذلك إلا بالجد فى العمل (فالعمل فى الحقيقة هو الكنز الذى نبحث عنه) .

ففطنوا كلهم لكلام أبيهم ، وترحموا عليه ، وكتبوا على باب الحديقة : « العمل كنز »

ليعمل كل إنسان لفائدة الكل

يحكى أن (كسرى أنوشروان) ملك الفرس مرّ على شيخ وهو يغرس شجر الزيتون ، فوقف الملك برهة يفكّر فيما عساه أن يدور بخلد ذلك الرجل الهَرِم .

وليس من المحتمل أن يعيش حتى يأكل من ثمر مايغرس ، فقال : أيها الشيخ ، ليس هذا أوان غرس الزيتون ، لأنه شجر بطىء النماء والإثمار ، وأنت شيخ هَرِم .

فقال الشيخ : أيها الملك ، قد غرس مَن قَبْلَنَا فأكلنا ، ونغرس ليأكل مَن بَعْدَنا .

فقال كسرى : زَهٍ . « وكان فى عرفهم ، إذا قالها الملك لإنسان أجيز ذلك الإنسان بقدر معين من الفضة » فدفع ذلك القدر إلى الشيخ على الفور .

فقال : أيها الملك ، كيف رأيت غرسى ، فما أسرع ما أثمر ، فقال الملك : زَهٍ ، مرةً ثانيةً فأعطى الشيخ جائزة أخرى ، فقال الشيخ : أيها الملك كل شجرة تثمر فى العام مرةً ، وشجرى أثمر فى لحظة مرتين ، فقال الملك : زَهٍ .

فأجيز ثالثةً . ثم مضى كسرى ، وقال لأصحابه : انصرفوا فإذا وقفنا لم يكف الشيخ مافى خزائننا .

وقد كان الشيخ فى عمله مثالا لما ينبغى أن يكون عليه كل إنسان فى عمله حتى يعمل الكل لفائدة الكل ، و بدون ذلك لا ينتظم للمجموع الإنسانى أمر ، ولا يخطو الكون خطوةً فى سبيل الرقّ .

« القراءة الرشيدة »

حلاوة الكسب

أدخل رجل ابنه فى مصنع ، وفرض عليه أن يقدم إليه أجرة عمله فى مساء كل يوم ، وكان للولد أمٌ جاهلة ، ترى ألاّ يشتغل فلا يتعب ، وكان الولد يقضى نهاره فى اللعب والبطالة ، ومتى جاء المساء عاد إلى البيت فتعطيه أمه أجره ليقدمه إلى أبيه ، فيأخذ الرجل هذه الدراهم ، و يوهم الولد أنه يلقيها من النافذة ، ولكن يودعها صندوقاً أعدّه لجمعها ، ولما طال الحال بتلك الأم الجاهلة ونفد مالها ، قالت لابنها : اذهب واشتغل اليوم ، فقد نفد كل مالى ، فذهب الولد واشتغل طول النهار ، وعاد بأجره وقدمه إلى أبيه ، فأخذ الرجل الدراهم وهمّ برميها من النافذة كما كان يفعل ، فصرخ الولد قائلاً : لا تفعل يا أبى ، فإنى كسبتها اليوم بعرق جبينى ، ولا يهون علىّ ضياعها .

فقال له والده : حقاً ياولدى ، لا يعرف قيمة المال إلا من تعب فى الحصول عليه ، وذاق حلاوة الكسب ! وأنشد يقول :

« ليس الحياة بأنفاس نرددها   إنّ الحياة حياةُ الفكر والعمل »

لا كبير على العمل

يحكى أن الدوق (أوف ادنبروغ) ابن الملكة (فكتوريا) ، وشقيق ملك الإنجليز (ادوارد السابع) دخل مركباً من المراكب الحربية ليدرس الفنون البحرية فكان يعامل معاملة إخوانه سواء بسواء ، وكان ينقل الفحم وينظف المركب ، وحدث أن المركب زارت ثغراً فى إفريقية الشرقية ، وسمع عميد القبيلة المقيمة عند ذلك الثغر ، أن أحد أعضاء الأسرة المالكة فى تلك المركب ، فجمع كبار قومه ، وتوجهوا لتقديم فرائض الطاعة .

فقابلهم الربّان ، ورحّب بهم وسألهم عما يريدون ؟

فقالوا : بلغنا أن ابن الملكة (فكتوريا) هنا ، فجئنا للتشرف بالمثول بين يديه إذا سمح ، فأمر الربّان أحد رجاله أن ينادى (الدوق) فجاء وسلم على الرجال ؛ ووقف أمام الربّان ، بأدب واحترام .

فظن أصحابنا أن الربّان يسخر منهم ؛ لأنهم رأوا الرجل الواقف أمامهم لا يمتاز عن رجال المركب فى شىء ، ولكن الربّان أقنعهم بأن ابن جلالة الملكة هو الواقف أمامهم ، وأنه لا كبير على العمل .

فصدقوه ، ثم عادوا من حيث أتوا ، معجبين مما شاهدوا ، ولسان حالهم يقول :

« فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح »

الرجال بالأعمال

يروى عن المستر (نسمث) مخترع المطرقة البخارية ، أنه وهو صغير ، كان يأتى إلى معمل أبيه عصر كل يوم سبت ، بعد المدرسة ، ويتمرن على استعمال الآلات المختلفة ، ويصنع بعض الأدوات البسيطة، وتدرج من ذلك إلى عمل الآلات المركبة التى كان يقرأ عنها فى الكتب ، ثم صنع كثيراً من الآلات البخارية ، وكان يبيعها للمدارس ، ولما بلغ من العمر عشرين سنة شرع فى السعى على العيش بنفسه ، فأتى إلى رجل صاحب معمل كبير اسمه (مودسلى) وطلب الدخول فى خدمته قانعاً بما يقدره له من الأجر قائلاً : إن مايقدر أن يعيش به غيرى من الصناع أقدر أنا أعيش به أنا أيضاً ، حتى إنه كان يهيء طعامه بيده ، وصنع بذلك آلة للطبخ لاتحتاج وقوداً كثيراً ، وعاش ولم يحتج لدرهم من أبيه .

وفى السنة التالية ، جعلت أجرته ٧٥ قرشاً فى الأسبوع ، فجعل يقتصد فى نفقاته ، ويشترى بما يزيد من أجرته آلات ليستقل بالعمل يوماً ما ، وكان يزداد مهارةً يوماً فيوماً ، وتزيد قدمه رسوخاً فى علمه ومقامه فى المعمل ، نظراً لاجتهاده وأمانته ؛ ولم تمض عليه ثلاث سنوات فى ذلك المعمل ، حتى اشترى آلات تكفيه ليعمل وحده فاستأجر دكاناً وجعل يعمل فيه ، وهو ينفق كل ما زاد على حاجاته الضرورية فى ابتياع الآلات والأدوات ، وأقام على ذلك سنتين ، ثم انتقل إلى معمل كبير ؛ وما زالت أشغاله تتسع حتى صار له من العمر ٤٨ سنة ، وبلغت ثروته حينئذ مبلغاً وافراً جداً ، فاعتزل الأعمال التجارية المتعبة

ووجه أنظاره إلى أمور أسمى منها ، عدَّها راحةً وفكاهةً ، فتعلق بعلم الفلك ، وصنع نظارات عظيمة فلكية ، ليرصد بها الشمس ، وصور القمر والنجوم ؛ وله فى ذلك اكتشافات جليلة ، فخدم العلم فى شيخوخته ، كما خدم الصناعة والتجارة فى شبيبته ، وأبان أن الحياة عمل وراحة ، والعمل يجب أن يتقدم الراحة (وهكذا الرجال بالأعمال) .

وسُئل مرةً ؛ عن حكمة تؤثر عنه ، فقال : (الواجبات أولا ، ثم المسرات ثانياً) ثم قال : وأكثر ما نراه من خيبة الناس وفشلهم ناتج عن ضد ذلك ، فإنهم يقدمون المسرات على الواجبات .

مكافأة الرجل العامل

يحكى أن (فردريك) ملك (بروسيا) امتطى جواده يوماً وخرج للتريض فرأى فلاحاً يحرث الأرض ، وهو مسرور بعمله ، يترنم طرباً ويحرث مجتهداً ، فوقف عليه الملك وقال له : أيها الشيخ ، أراك مسروراً باذلاً الجهد فى العمل فهل هذه الأرض التى تتعب فيها كل هذا التعب هى لك ؟

فأجابه الفلاح — ولم يعلم أن الذى يخاطبه الملك — لا يامولاى ؛ إنما أعمل بالأجرة ، فلست من الفلاحين الأغنياء .

قال الملك : وكَمْ لك من الأجرة على هذا العمل ؟

أجاب الفلاح : عشرة قروش كل يوم .

قال الملك : تلك أجرة قليلة فهل تكفيك أيها الشيخ المسكين ؟

أجاب الفلاح : نعم تكفيني وتزيد على ما أحتاج إليه .

قال الملك : وكيف ذلك ؟

أجاب الفلاح : أنفق منها أربعة قروش عَلَىّ وعلى امرأتى، وأدفع قرشين لبعض دين قديم عَلَىّ ، وأقرض منهـا قرشين ، وأنفق القرشين الباقيين فى سبيل الله

فقال الملك : ذلك سرٌّ لا يمكنني معرفته .

قال الفلاح : الأمر بسيط ، أبيّنه لك يا مولاى ، وهو أن لى فى البيت شريكين ، كانا يعنيان بى حينما كنت صغيراً ، وضعيفاً محتاجاً ، وهما الآن شخصان ضعيفان ، فأبتهج بأن أعنى بهما إيفاء للدين الذى لهما عَلَىّ ، فأوفيهما كل يوم قرشين ، نفقةً لهما ، وهما (والداى) وأنفق أربعة قروش عَلَىّ وعلى امرأتى ، وعلى أولادى قرشين ، وهذا هو القرض الذى أقرضه ، لأنهم متى كبروا وعاشوا إلى أن أعجز أنا ووالدتهم عن العمـل ، يوفونا ذلك الدين بعنايتهم بنا ، وأنفق قرشين على أختين لى لا تقدران على العمل ، وهذا ما أنفقه فى سبيل الله .

فقال الملك : لقد أحسنت صنعاً أيها الرجل ، إنى أريد أن أسألك : هل رأيتنى قبل الآن ؟

أجاب الفلاح : لا ياسيدى .

قال الملك : إنك ستراني فى خمس دقائق خمسين مرة ، وتحمل دراهم فيها خمسون صورة من صورى .

قال الفلاح مدهوشاً : هذه مسألة لا أستطيع حلّها .

قال الملك : إنى أحلهـا لك ، ومدّ يده فى جيبه وأعطاه خمسين (ليرة) على كل منها صورة الملك ، وقال له : هذه (الليرات) جاءت من فضل ربى ، وأنا عبده أمرنى أن أعطيك إياها ، مكافأةً لك على اجتهادك ، وقيامك بالواجب نحو نفسك وأسرتك .

فشكَر له الفلاح حسن عطائه ،وانصرف مبتهجاً بأعماله ، مسروراً بما ناله .

العاقل من اعتمد على نفسه

أرسل أحد التجار الأغنياء ولده فى تجارة ليعوّده على الأسفار ، واقتحام الأخطار ؛ فرأى فى طريقه ثعلباً طريحـاً يتلوّى من الجوع فقـال : مِن أين يتغذى هذا المسكين ؟ و إذا بأسد أقبل يحمل فريسته ، فانزوى الولدوهو يرتعد ثم راقب الأسد حتى أكل فريسته وترك منها بقية لا خير فيها ومضى . فقام الثعلب وأكل من فضلة الأسد ، والولد يعجب من صنع الله فى خلقه ، وما ساقه إلى هـذا الحيوان العـاجز من الرزق ، وقال فى نفسه : إذا كان المولى سبحانه وتعالى قد تكفل لخلقه بالأرزاق ، فلأى شىء احتمال المشاق ، وركوب البحار ، واقتحام الأخطار ؟ ثم انثنى راجعاً إلى والده وأخبره بمـا رآه ، وأنه بسببه قد عدل عن السفر .

فقال له أبوه : يا بنى ، لقد أخطأت النظر فإنما أردتُ أن تـكونَ أسداً يأكل من فضلاتك الضعاف الجياع ، لا أن تكون ثعلباً جائعاً تنتظر قوتك من

فضلات غيرك .

فقبل الولد نصيحة والده ، وعاد إلى ما كان فيه ، وعلم أن رجل الحزم والعزم هو من يعتمد على نفسه ، لا على أبناء جنسه ، وقال :

« وما المرء إلاّ حيث يجعل نفسه فكن طالباً فى الناس أعلى المراتب »

وقال المتنبى الشاعر المشهور :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

مثـــــال آخر

دخل (عَمرو بن سعيد) على (معاوية) بعد موت أبيه ، وعَمرو يومئذ غلام ، فقال معاوية : مَن أوصى بك أبوك يا عَمرو ؟ قال : إن أبى أوصى إلىّ ولم يوص بى . قال : و بأى شىء أوصاك ؟ قال : أوصانى أن لا أفقد منه إلا شخصه فقال معاوية لأصحابه : إن ابن سعيد هذا سيكون نعم الخلف لأبيه .

المداومة على العمل ، تبلغ غاية الأمل

جلس حكيم يرشد أولاده فى بعض الليالى ، ويبين لهم أن المداومة على الأعمال ترفع أصحابها إلى أعلى درجات الكمال ، وأن الموانع لا تقف فى طريق الرجل الصبور ، وأيد دعواه بحادثة كبيرة بأن يُعنى بها .

قال : كان فى غابر الأزمان رجل يطوف فى البلاد ، ومعه ثور ضخم ، يحمله على كاهله فى الأعياد والمواسم ، ويمشى به بين الجماهير من الناس ، يريهم قوته ثم يضعه ، ويمدّ يده إلى من يُمِدُّه بهبة تعينه على المعيشة فقال له بعض

الحاضرين : كيف وصلتَ إلى هذه الدرجة المدهشة من القوة ؟

قال : إنى كنت أحمل هذا الثور على كتفى ، مذ كان عجلاً صغيراً أدور به فى فناء دارى جملة ساعات كل يوم ، فكان كلما ازداد ثقلاً ، ازددت قوة بكثرة هذه التمرينات التدريجية ، حتى أصبحت لا أعجز مع ضخامته المفرطة عن حمله .

عقاب الرجل الكسلان ، الفقر والحرمان

كان أحد الفلاحين مهملاً زراعة أرضه حتى أصبحت مغطاةً بالشوك ، والدغل والأملاح .

ففى يوم من أيام الحصاد ، وكان الحرُّ شديداً ، اضطجع الفلاح المتكاسل تحت ظل شجرة ، فمرَّ به فلاح نشيط ، يسوق عجلة محملة قمحاً وقرأ عليه السلام ، فنظر الفلاح المتكاسل إلى العجلة بعين الحسد ولم يرد عليه السلام ، فوقف الفلاّح النشيط وقال له : إن شئت أن تتعب قليلاً لفلاحة أرضك البور ، وأن تحرث منها كل يوم مسافة بقدر ما تغطيه جثتك المطروحة على الأرض ، فيمكنك بعد سنة أن تحصد .

فاستصوب الفلاح الكسلان هذا الرأى السديد، وشرع من وقته فى قطع الشوك والعلّيق ، وعزق أرضه وحرثها .

وبهذه الوسيلة اقتنى لنفسه حقلاً لم يكلفه بارةً واحدةً ، وأتاه من فضل الله قوته وقوت عياله ، فقال :

حقًّا (إن الفقر والحرمان يحيقان دائمًا بالكسلان) .

عاقبة الإهمال خسران ووبال

ركب فلاح فرسه وانطلق إلى المدينة ، وقبل أن يركب رأى أن إحدى النعال ينقصها مسمار فقال : لا بأس ، مسمار زائد أو ناقص لا يؤثر شيئاً سرعة الفرس .

فبينما هو فى الطريق سقط نعل الفرس فقال : لو كان هنا بيطار لأعاد النعل (الحدوة) إلى رجل الفرس ؛ ولكن لا بأس فإنه يمكن المشى بالثلاث نعال الباقية

و بعد أن سار قليلاً بدأ الفرس يعرج ، وتعطلت حركته ؛ وفى أثناء ذلك خرج عليه اثنان من قطاع الطرق ، كانا كامنين فى غابة كثيفة ، فلم يمكنه الهرب بسرعة ، وأدركه اللصان ، وسلبا منه فرسه وماله ، فاضطر أن يرجع إلى بيته ماشياً ، وقال وهو كئيب : ما كنت أظن مطلقاً أن فقد مسمار واحد من نعل الفرس يكون سبباً لخسارة الفرس وما يحمله ، وحقًّا إن عاقبة الإهمال ، خسران ووبال .

ليست السعادة فى جمع المال ، بل فى القيام بالأعمال

أخوان شقيقان سافرا إلى جهة بعيدة طلباً للرزق ، فأخذ أحدهما قطعة أرض بور ففلحها وزرعها بجد ونشاط حتى صارت حقلاً خصيباً مملوءاً بالغلال وعاش فى أمن وراحة بال . أما الثانى ، وكان أطمع من أخيه ، فتوجه إلى الجبال

حيث يوجد التبر (الذهب) قاصداً أن يبحث و ينقب عن هذا المعدن الثمين ، وعاش هناك عيشة شقاء ، ولم يكن هناك مايقتات به سوى قشور الأشجار ؛ ولكن عاد أخيراً إلى أخيه ومعه كيس مملوء ذهباً ، فقال لأخيه : انظر ياأخى ماأحسن هذا المال الذى أصبته ! ولكن أرجوك أن تعطينى حالاً طعاماً لآكل فقد أضنانى التعب والجوع .

فأجابه أخوه : إنى بكل ارتياح أقدم لك ماتريد بشرط أن تعطينى ثمن كل رغيف ، ثقله ذهباً ، فالتزم أخوه قبول ذلك و إن كان شاقاً عليه .

و بعد زمن يسير استولى الأخ على مال أخيه ، وقال له ياأخى العزيز أرد إليك مالك ، و إنى لم أقصد أن أتملكه منك ، رغماً عنك ، بل أردت أن أبين لك أن السعادة ليست فى جمع المال ؛ بل فى القيام بالأعمال ، وأن حب العمل يجلب الخيرات واللذات أكثر مما يجلبه الذهب ، وأن من يعيش من عمل يديه يستغنى عن الذهب والكنوز ، و بالسعادة يفوز .

حكايات وأمثال فى فضل الأدب

أدب المرء خير من نسبه

يحكى أن صبياً تكلم بين يدى المأمون فأحسن .

فقال له المأمون : ابن مَن أنت ؟

فقال الصبى : ابن الأدب ياأمير المؤمنين .

فقال المأمون : نعم النسب ، وأنشد قول الإمام علىّ رضى الله عنه :

« كن ابن مَن شئت واكتسب أدبا   يغنيك محموده عن النسب »

« إن الفتى مَن يقول هأنذا   ليس الفتى من يقول كان أبى »

أدب المرء خير من ذهبه

أحمد — ماهذا الخاتم الذى فى أصبعك ياعلى ؟

على — هذا خاتم من الذهب الجيِّد ، وفصه من الماس الثمين .

أحمد — أراك ياأخى معجباً به ، مفاخرا بزينته .

على — نعم فإنه زينة فى اليد ، ومظهر من مظاهر الغنى والثروة .

أحمد — أى زينة هو إذا لم يزن المرء خلقه وأدبه ؟ (فقيمة المرء بعلمه وأدبه لا بزينته وذهبه) .

على — نعم ، ولكن الناس فى هذه الأيام يتسابقون فى اقتناء الحلى والحلل ويتنافسون فى جمع الأموال ؛ وما ذلك إلا لشرفها ، ورفعة قدرها ، وشدة إعجابهم بها .

أحمد ـ اعلم يا أخى ، أن الرجل لا يزين ظاهره للناس بالذهب والفضة والأحجار الكريمة ، إلا لنقص يجده فى نفسه ، أو مداراة لعيب فى جسمه ، وهو والنساء فى هذه الدنيا سواء ، على أنه لو حلى نفسه بالفضائل ، وزينها بجواهر العلم والتقوى ، لكان موضع الإجلال والتعظيم من جميع الأنام .

على ـ ما أجمل عظمتك ، وأنفس نصيحتك . ! وسأعمل بها إن شاء الله ، وأخلع عنى هذا الإعجاب ، وأسير فى طريق الهدى والصواب .

أحمد ـ أحمدُ ربى الذى هداك ، وأرشدك للصواب ، وأبان لك (أن الزينة الحقيقية ، هى زينة العلم والآداب ، لا زينة الذهب والثياب) والخاتم النفيس هو خاتم الفضيلة والكمال .

المرء بآدابه ، لا بزيه وثيابه

دخل رجل يوماً على الإسكندر ، وكان رث الهيئة ، فتكلم فأحسن وسُئل فأصاب الجواب .

فقال الإسكندر : لو أعطيت جسمك حقه من الزينة ، كما أعطيت نفسك حقها من العلم والأدب لأشبه بعضك بعضاً .

فقال له الرجل : أيها الملك : أما الكلام فأقدر عليه ، فإنى مالكه ، وأما الزينة فلا أقدر عليها لأنى لا أملكها .

فعلم أنه محتاج ، وخلع عليه خلعة ثمينة جزاء أدبه ، وأحسن إليه وقرّبه لديه ، فأنشد الرجل :

« لا تنظرنّ لأثواب على أحد　　إن رمت تعرفه فانظر إلى الأدب »

« فالعود لو لم تفح منه روائحه لم يفرق الناس بين العود والحطب »

الأدب فوق كل كبير

يحكى أن الملك (لويس الخامس عشر ملك فرنسا) وهو صغير كان خارجاً مع مؤدبه ، وكان على باب القصر أحد مساحى الأحذية ، فرفع قبعته إجلالاً للملك ، فرد المؤدب على ذلك المسكين السلام ، وترك يد تلميذه .

فقال له الملك : كيف تردّ السلام على خادم وأنت مؤدبى ؟

فأجاب المؤدب : يا مولاى إن أحبّ شىء إلىّ أن أرد على هذا الخادم تحيته حتى لا يقال ، إن خادماً أكثر منى أدباً (والأدب فوق كل كبير) .

أدب الأنبياء

يحكى أن سيدنا إبراهيم عليه السلام ، كان جالساً بين أصحاب له فجاء خنزير ووقف أمامهم .

فقال له سيدنا ابراهيم : اذهب بسلام .

فقال له أصدقاؤه : لِمَ لم تذكر اسمه يا نبىّ الله ؟

فقال عليه السلام : أخاف أن ينطلق اسمه على لسانى فأخاطبَ به غيرَه من الآدميين فيُبْغِضوننى .

فانظروا رحمكم الله كيف كان خليل الله يعلم أصحابه الأدب ، ويحذرهم التكلم بالألفاظ البذيئة للتى يعافها كل ذى طبع سليم ، وخلق كريم .

أدب الخلفاء

أدب سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه

عن أنس قال : بينا رسول الله ﷺ جالس فى المسجد قد أطاف به أصحابه ؛ إذ أقبل على بن أبى طالب ، فوقف فسلم ، ثم نظر مجلساً يليق به، فنظر رسول الله ﷺ فى وجوه أصحابه أيهم يوسع له ؟ فكان أبو بكر جالساً على يمين النبى ﷺ فتزحزح له عن مجلسه وقال : ههنا يا أبا الحسن .

فجلس بين رسول الله ﷺ و بين أبى بكر .

قال أنس : فرأيت السرور فى وجه رسول الله ﷺ من أبى بكر .

فقال : يا أبا بكر (إنما يعرف الفضل ، لأهل الفضل ، ذوو الفضل) .

(محاسن الآثار للمحب الطبرى)

أَدب سيدنا الحسن وظَرْفه

(الحسن ابن سيدنا على ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم)

جاءت جارية للحسن تحييه بشىء من الريحان فقال لها : أنت حرة لوجه الله تعالى .

فقيل له : جاءتك جارية بريحان فأعتقتها .

فقال : قال الله تعالى : « وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا » .

(نزهة المجالس)

مراعاة الأدب وحسن الإرشاد، من واجبات العباد

كان سيدنا الحسن وسيدنا الحسين، رضى الله عنهما، على جانب عظيم من الأدب، وحسن الذوق، بدليل أنهما كانا سائرين فى الطريق فمرا على رجل يتوضأ؛ ولكنه لم يحسن الوضوء؛ لأنه لم يغسل وجهه تماماً، ولم يحسن غسل يديه كلتيهما، وترك بعض رجليه بدون غسل، فلما رأى الحسن والحسين ذلك من الرجل أرادا إرشاده إلى خطئه فى الوضوء، وكان الرجل أكبر منهما سناً فخافا إذا هما قالا له: أَعِد الوضوء، أو إن وضوءك غير صحيح، أو أنت لا تعرف الوضوء، أن يخجل الرجل ويغضب من كلامهما، ففكرا فى حيلة يعملانها لإرشاده بدون أن يحصل له أدنى خجل فى ذلك، فتقدم إليه أحدهما وقال له: أيها الشيخ الكبير، إن أخى هذا يظن أنه يحسن الوضوء أكثر منى فنسألك أن تنظر إلى كل منا وهو يتوضأ، ثم تشهد لمن يحسن الوضوء منا، فتوضأ كل منهما والرجل ينظر إليهما، فرأى أن كل واحد منهما يحسن الوضوء جيداً، وفهم أنه هو الذى لا يحسن الوضوء ويقصدان إرشاده.

فقال لهما: إنى أشكر لكما حسن إرشادكما، وكمال أدبكما، وأعترف بأنى أنا الذى لا أحسن الوضوء، وقد تعلمت منكما الآن كيف أتوضأ وها أنذا أعيد الوضوء أمامكما. (الدروس التهذيبية)

أدب الملوك

١ ـ كان بعض الأمراء واقفاً ذات يوم فى الطريق يكلم تاجراً من وجهاء

التجار ، فمرّ بهما عبد أسود وحيَّا الأمير فردّ عليه التحية ، فتعجب التاجر وقال للأمير : أتحيِّي عبداً أسود يُشترى بالمال مع علو شأنك وعزة سلطانك ؟

فأجابه الأمير : كيف لا أحيِّيه ؟ وهل يليق بي أن يكون هذا العبد أكبر مني أخلاقاً ، وأجمل أدباً .

فقال له التاجر : حقًّا يامولاى ، إن هذا لمن أدب الملوك . .

٢ ـ وروى أيضاً عن (واشنجتون محرر أمريكا) أنه كان سائراً فى الطريق فرأى زنجيًّا من عمال المعادن فحيَّاه هـذا تحية التابع للمتبوع فرفع (واشنجتون) قبعته ردًّا للتحية،فسأله مرافق لهفى ذلك ، آخذاً عليه هذا التنزل .

قال : أفكنت ترضى أن يكون الزنجى أكثر منى أدباً ؟

٣ ـ ويحكى عن (المستر كونسى رئيس الولايات المتحدة) أنه كان غاية فى الأدب ، حتى مع أحط الناس فى نظر الناس ، روى عنه أنه كان راكباً عربة من عربات (الأمنيبيس) وكانت مزدحمة ، فدخلت سيدة أمريكية سوداء من نسل الزنوج ، ولما لم يكن فى العربة مجلس خال قام الرئيس العظيم من مكانه وقدّمه لها ، فجلست هى ، وبقى سيد البلاد واقفاً على قدميه ما بقى من الطريق .

أفلا يشعر القارئ فى نفسه باحترام هذا الرجل العظيم ؟

الملوك يكرمون الأدباء

دخل أعرابى على أبى جعفر المنصور فتكلم فأحسن فأعجبه كلامه ، فقال له المنصور : سل حاجتك

فقال الأعرابى : يبقيك الله يا أمير المؤمنين ، ويزيد فى سلطانك .

فقال له المنصور : سل حاجتك ، فليس فى كل وقت يمكننى أن آمر لك بما تحب .

فقال له الأعرابى : والله يا أمير المؤمنين ما أستقصر عمرك ، ولا أخاف بخلك ، ولا أغتنم مالك ، وإن سؤالك لزين ، وإن عطاءك لشرف ، فأطال الله للأمة بقاءك ، وأحسن عنها جزاءك .

فأمر المنصور بحشو فمه جواهر ، وكتبه فى سجل العطاء .

الملوك يجلّون الأدباء

تقابل هارون الرشيد مع الكسائى الأديب المشهور فى بعض الطرق ، فوقف له وتحفّى فى السؤال عن حاله .

فقال له الكسائى : أنا بخير يا أمير المؤمنين ، ولو لم أجد من ثمرة الأدب إلا ما وهب الله تعالى لى من وقوف أمير المؤمنين ، وسؤاله عنى ، لكان ذلك كافياً محتسباً .

كيف تكون ملكاً إذا لم تتأدب وتتعلم ؟

جاء عن ملك الإنجليز « ادوارد السابع » أنه لما كان يتعلم وهو صغير ضجر ذات يوم من الدرس ، وألقى الكتاب من يمينه ، وأخذ ينظر من الشباك فقالت مربيته : هلمّ إلى درسك فاحفظه .

فقال : لا أريد أن أحفظ .

فقالت له : احفظ حالاً ؛ وإلا أوقفتك ووجهك شطر الحائط ، فضرب

بيده زجاج الشباك فكسره .

وقال : إنى لا أحفظ ، ولا أقف ، و إياك وهذا الكلام ، ألم تعلمى أنى سأكون يوماً ما ملكاً لبريطانيا العظمى ؟

فلمَّا رأت منه ذلك أرسلت إلى والده الأمير (ألبير) وحدثته بما جرى ، فالتفت إليه عابساً ، وقال له بشدة : (كيف تكون ملكا إذا لم تتأدب وتتعلم ؟)

اخضع لأمر مربيتك ، واحفظ جميع ما عليك حتى تتهيأ للملك .

فسمع كلام والده ، واستمرَّ فى دروسه ، حتى رضيت عنه مربيته .

أدب الأمراء

قال بعض الفقهاء : كان المأمون من أكثر الناس علماً ، وأحرصهم على اتباع الآداب .

بتُّ عنده ليلةً فاستيقظ من نومه ، وأراد أن يشرب ، فظننى نائماً فلم يَدْعُ الغلام لئلا أنتبه ، وقام بهدوء وسكون ، حتى انتهى إلى (البرّادة) فشرب وعاد إلى مضجعه ، وهو يخفى مشيه ، ثم أخذه سعال ، فرأيته يضع كمه على فمه لئلا أسمع صوته .

ولما طلع الفجر أراد القيام ، وقد تناومت ، فصبر إلى أن كادت تفوت الصلاة فتحركت .

فقال : الله أكبر ، ونادى الغلام لينبهنى .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، رأيت بعينى جميع ما كان الليلة من جميل صنعك ، فعلمت ما فضلك الله به علينا وجعلك أميراً .

احترام الوزراء للعلماء

كان من عادة الوزير نظام الملك (الحسن أبى على الطوسى) أنه إذا دخل عليه أكابر المملكة يقوم لهم ، ثم يعود فيجلس فى محله ، وكان له مرشد إذا دخل عليه يقوم ويجلسه فى مكانه ، ويجلس هو بين يديه .

فلما سُئل فى ذلك قال : إن أولئك إذا دخلوا علىّ يمدحوننى بما ليس فىّ فيزيدنى كلامهم عجباً وكبراً ، وأتمادى فى المعاصى ؛ وأما هــذا العالم الفاضل فيذكرنى عيوبى ، ويرشدنى إلى الخير فتنكسر نفسى لذلك ، وأرجع عن كثير مما أنا فيه .

حلية المرء الأدب

روى أن (النعمان بن المنذر) ملك العرب ، جلس مرّةً وعليه حلةٌ بديعةٌ مرصعةٌ بالدر والجواهر ، فجاء إليه العرب ، وأخذوا يتحدثون بهذه الحلّة إلّا رجلاً منهم اسمه (أوس بن حارثة) .

فقال له النعمان : لِمَ لا تنظر مثل إخوانك إلى هذه الحلّة وتتكلم ؟

فقال أوس : أسعد الله الملك ، إنما تستحسن الحلّة إذا كانت فى يد التاجر ، وأما إذا كانت على الملك ، وأشرق فيها نور وجهه ، فنظرى مقصور عليه لا عليها فاستحسن الملك عقله وأدبه ، وخلع عليه الحلّة ودعاه بسيد العرب .

سيد العرب أمام ملك العرب

وفد حاجب بن زُرَارَة على (أنو شروان) فاستأذن عليه .

فقال للحاجب : سله من هو ؟

فقال : رجل من العرب .

فلما مَثُلَ به بين يديه قال له (أنو شروان) : مَن أنت ؟

فقال : سيد العرب .

قال أنو شروان : أليس زعمت أنك واحد منهم

فقال : إنى كنت كذلك ، فلما أكرمنى الملك بمكالمته صرت سيدهم

فأمر بحشو فمه درًا .

أدب الأكابر مثال للأصاغر

يحكى أن الرشيد أراد أن ينظر إلى ابن شعيب القلاّل (صانع القلال) كيف يصنع القلال (جمع قلّة وهى الجرة) وأحضروا جميع مايحتاج إليه من أدوات العمل .

فبينما هو يصنع ، إذا بالرشيد قد أقبل ، فلما رآه نهض قائماً متأدباً

فقال له الرشيد : دونك مادعيت إليه ، فإنى لم أحضر لتقوم لى ، وإنما لتصنع بين يدى وأرى جميل صنعك .

فقال ابن شعيب : وأنا ياأمير المؤمنين ؛ لم أحضر ليسوء أدبى فى حضرتك وإنما حضرت لأزداد بك أدباً .

فأعجب الرشيد بكلامه وأجازه .

الأدب أساس النجاح

أعلن تاجر أنه يريد أن يستخدم عنده شاباً كاتباً فرغب فى هذه الوظيفة

عدد من الشبان غير قليل . وحضروا لمقابلته في ساعة معينة .

فكان التاجر يدعوهم إلى مكتبه واحداً بعد واحد ، ويحادثهم في مسائل كثيرة ليعلم مقدار فطنتهم وآدابهم ، ثم اختار أحدهم بعد محاورة قصيرة ، وكان صديق له حاضراً ، فاستغرب هذه السرعة في الاختيار وقال له : على أى أساس بنيت اختيارك لهذا الشاب ، فإنك لم تحادثه إلَّا قليلاً ؟

فقال له: إنه عند دخوله مسح نعليه ، ثم استأذن في الدخول ، وأقفل الباب بلطف وسكون ، ففهمت أنه نظيف ومنتظم ، ثم أشار إلىّ بالسلام ، وجاوبني بنشاط واحترام ، ففهمت أنه حسن الأدب ، وقد لبث ينتظر دوره ، ولم يدفع غيره للحضور بين يدىّ ، ففهمت أنه متواضع ، ومتى اجتمعت هذه الصفات في شخص كان أفضل ممن سواه ، وأحق بالتقدم والنجاح .

آداب الرؤساء

مما يؤثر عن (اللورد كتشنر) سردار الجيش المصرى سابقاً أنه دخل عنده بعد الاستئذان أحد العساكر فسأله : ما شأنك وما الذى جاء بك ؟

فأجابه : إنه فى يوم كذا ، فى ساعة كذا ، مررت بى يا جناب (السردار) فأديت لك التحية العسكرية ولم ترد لى التحية فلماذا ؟

فسكت السردار قليلاً ، وقال له : أتذكر ذلك حقاً ؟

فأجابه : نعم يا سيدى ، ولولا ذلك لما حضرت الآن .

فقام السردار واقفاً ، وأعطى له التعظيم العسكرى ، معتذراً له قائلاً : لا تؤاخذنى بما نسيت ، فإنى ربما كنت قد سهوت .

فانصرف العسكرى شاكراً ،مؤدياً التعظيم الواجب لقائده ، فهكذا يكون أدب الرؤساء ، ومعاملتهم لمرؤوسيهم ؛ لأنه يجب أن يكونوا قدوة حسنة لهم ، ومثالاً عالياً للأدب والاحترام .

كمال الأدب فى القيام بالواجب

لما مرض (بهاء الدين بن شداد) قاضى حلب ، الذى بلغ عند صلاح الدين وابنه الظاهر ما لم يبلغه أحد من نظرائه ، وجاء لعيادته الصاحب (كمال الدين) فى جماعة من الشبان فرأوا من كمال أدبه ، وغزارة ظَرْفه ، ما جعلهم يلهجون بالثناء عليه .

ولقد وصف ذلك (كمال الدين) فقال : عند ما دخلنا عليه استوى قائماً فجعلنا نحلف عليه ألاّ يفعل .

فقال : يا سبحان الله ، تفكرون فى مرضى ، وتتعبون أنفسكم فى الحضور إلىّ من أماكنكم إلى منزلى ، ثم أبخل عليكم بقومة ،هذا والله ليس من المروءة.

ثم قال : يا أولادى ، لقد دخلتُ على كبير ، وأنا فى سنكم ، فلم يحفل بى فإلى الآن ما أذكر ذلك إلا أسأت ذكره ، وندمت على وصولى إليه (ولا يتجنب المعايب ، إلا أهل التجارب) !

ثم قال أيضاً : وكنت أتردد إلى مجلس (كمال الدين يغمور) وهو نائب السلطنة بالشام ، وكان يقوم كلما دخلت عليه ، فدخلت يوماً عليه ، فإذا هو مضطجع ، فلم يقم ، وأخذ فيما كان فيه ، فلما دخلت فى اليوم الثانى ، قام ، ثم

جلس ، ثم قام ، ثم جلس .

وقال : هذه الأخيرة قومة أمس ، كانت عَلَىَّ ديناً لعـذر ، هل تتفضل بقبوله دون مطالبة بذكره ؟

فتعجب من فضله ، ودماثة خلقه ، وكمال أدبه .

الزم الأدب فى صغرك ، يلزمك فى كبرك

خرج أحد الحـكماء ذات يوم إلى الخلاء ، ومعه أحد أولاده ، فسارا حتى وصلا إلى غيضة ناضرة الأشجار ، زاهيـة الأزهار ، يانعـة الأثمار ، وبجانبها شجرة صغيرة قريبة من الطريق قد أمالتها الريح ، وكاد رأسها يمس الأرض .

فقال الحـكيم لولده : انظر إلى تلك الشجرة المائلة ، واذهب فأرجعها إلى شكلها الأول . فذهب الولد وأخـذ يعالجها إلى أن عدّلها ، ثم انطلقا حتى إذا قربا من (جُمّيز) شجرة كبيرة كثيرة العقد والاعوجاج ، قال الحـكيم لابنه :

انظر يا بنى إلى هـذه الشجرة ، ما أحوجها إلى من يصنع معها معروفاً فيُعدّلهـا ، ويزيل عنهـا عيوبها التى شانتها ، وحطت من قيمتها ، فى أعين الناظرين ، فانحُ نحوها ، وافعل بها كما فعلت بالتى قبلها .

فتبسم الولد عجباً وقال : إنى لا أكره صنع المعروف ، إلا أن تلك الشجرة غير قابلة للتعديل لـكبرها ، نعم كان يمكن ذلك فى زمن صغرها ؛ وأما الآن فمن المحال ، ولو اجتمع عليها عُصبة من الأبطال .

فأعجب الحـكيم بابنه ، وفرح به لما آنس من شدة ذكائه ، ورقة جوابه وقال : صدقت يا بنى ، (فإن من شبّ على شىء شاب عليه ، فالزم الأدب

فى صغرك ، يلزمك فى كبرك) .

ثم رجعا من حيث أتيا ، والأب يردد فى نفسه هذا الكلام : ما أسهل تهذيب النفس فى الصغر ؛ وما أصعبه فى الكبر ، وأنشد يقول :

« قد ينفعُ الأدبُ الأطفالَ فى صِغَر ‌ ‌ ‌ ‌ وليس ينفعُ عند الشَّيْبَة الأدب »

« إن الغصون إذا قوّمتها اعتدلَتْ ‌ ‌ ‌ ‌ ولن تَلينَ إذا قوّمتها الخُشُبُ »

(المأمون ومؤدبه)

من حسن جوابه ، كملت آدابه

روى أن مؤدب المأمون حضر ذات يوم وانتظر خروج المأمون فتباطأ وتوانى ، فلما حضر بين يديه ضربه ؛ فبكى .

و بينما هو يبكى استأذن عليه وزير من وزراء أبيه ، فاستوى جالساً وفتح عينيه ، وأذن له فدخل عليه ، فخشى المؤدب أن يشكوه إليه ، ولكنه لم يفعل ولما خرج الوزير كلم المؤدب المأمون فى ذلك فقال له : إنى لا أحب أن أطلعه على احتياجى إلى الأدب ، ووالله ما يطمع منى والدى فى مثل هذا . فسرّ المؤدب من حسن جوابه وشكره .

رقة الأدب ومعاشرة الأدباء

قال (رجاء بن حَيْوَة) لعبد العزيز : ما رأيت أكرم أدباً ، ولا أكرم عشيرة من أبيك ، سمرت عنده ليلة ،فبينما نحن كذلك إذ غشى السراج ، ونام الغلام ،فقلت ياأمير المؤمنين قد غشى السراج ،ونام الغلام، فلوأذنت لى أصلحته؟

فقال : (إنه ليس من مروءة الرجل أن يستخدم ضيفه) .

ثم حطّ رداءه عن منكبيه ، وقام إلى السراج ، فصبّ فيه من الزيت، وأشخص الفتيلة ، ثم رجع ، فلم يقم أحد .

وقال بعضهم فى معاشرة الأدباء :

« فكم من جاهل أمسي أديباً يصحبة عاقل وغدا إماما »

« كماء البحر مُرٌّ ثم يحلو مذاقته إذا صحب الغماما »

حلية الفضل والأدب

تغنى عن حلية الفخر والنسب

يروى أن (عبد الملك بن مروان) دخل المسجد الحرام للطواف ، فرأى حلق الذكر والعلم ، فأعجب بها كل الإعجاب ، وجعل يتأمل و يبتسم ، ثم أشار إلى أخرى وقال : لمن هذه ؟ فقيل : (لميمون بن مهرن) وأشار إلى أخرى وقال لمن هذه ؟ فقيل : (لمجاهد) وأشار إلى أخرى وقال : لمن هذه ؟ فقيل : (لمكحول) وكلهم من أبناء الفرس .

فتعجب من ذلك ، فلما رجع إلى منزله جمع أحياء قريش وقال : يامعشر قريش ، كنا فيما قد علمتم ، فمنّ الله علينا بمحمد ﷺ وبهذا الدينْ القويم ، فحقرتموه حتى غلبكم أبناء الفرس ، فلم يرد عليه أحد ، إلا علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فقال :

« ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ » .

ثم قال عبد الملك : أرأيت كهذا الحى من الفرس ؟ ملكوا من أول الدهر فما احتاجوا إلينا وملكناهم فلم نستغن عنهم ساعةً .

نعم ما أدبك به أهلك

خرج عبدالله بن عامر (عامر بن كريز) من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام إليه غلام من ثقيف فمشى إلى جانبه ، فقال له عبدالله : ألك حاجة ياغلام ؟

قال : صلاحك ، وفلاحك ، رأيتك تمشى وحدك فقلت : أقيك بنفسى ، وأعوذ بالله إن طار بجانبك مكروه .

فأخذ عبد الله بيده ، ومشى معه إلى منزله ثم دعا بألف دينار قدّمها إلى الغلام وقال : استنفق هذه فنعم ما أدبك به أهلك .

« إحياء العلوم »

الأدباء والجهلاء

كان رجل مُسن مارًّا ذات يوم فى إحدى الطرق وهو لايطيق المشى لكبر سنه ، فالتفت حوله بعض الأولاد الذين لاأدب عندهم ولاتربية وأخذوا يعاكسونه ويسخرون منه .

وبعد قليل ، أتاح الله له فريقاً من التلاميذ المهذبين ، فاحتالوا على هؤلاء الأشرار وفرقوهم عنه وأخذوا بيد الرجل الضعيف حتى أوصلوه إلى باب منزله ، فشكرهم ، ودعا لهم بالبركة والنجاح ، ومدحهم الناس على مروءتهم وحسن تهذيبهم .

هذه نتائج التربية الصحيحة ، والأدب الكامل .

المثل الأعلى فى الأدب « محمد صلى الله عليه وسلم »

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لرسول الله ﷺ : لقد طفت فى العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك فمن أدّبك ؟

قال عليه الصلاة والسلام :

« أدبنى ربى فأحسن تأديبى »

فالذى يؤدبه ربه يكون بلا شك أحسن الناس أدباً ، وأكملهم خلقاً . فإذا سألك سائل عن المثل الأعلى فى الأدب والخلق ؟

فقل له : محمد ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين .

قصص وحكم وأمثال

فى فضل حسن الخلق

محمد ﷺ هو المثل الكامل فى حسن الخلق

بدليل قوله تعالى : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » .

وقوله ﷺ : « بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاق » .

وقوله ﷺ : « إنَّ من خِيَارِكم أحسنكم أخلاقاً » .

وقوله ﷺ : « أكملُ المؤمنينَ أحسنُهُمْ أخلاقاً » .

وقوله ﷺ : «إنَّ المؤمنَ لَيُدْرِكُ بحسنِ خُلُقِهِ درجةالصائمِ القائمِ » .

وقوله ﷺ : « مكارمُ الأخلاق من أعمال أهل الجنة » .

وكان من دعائه ﷺ إذا نظر فى المرآة : « اللهُمْ كما حسَّنتَ خَلْقى فَحَسِّنْ خُلُقى » .

وكان يستعيذ من سوء الأخلاق فيقول :

« اللهمَّ إنى أعوذُ بك من الشِّقاقِ والنِّفاقِ ، وسوء الأخلاق » .

و إليكم بعض القصص والحكم والأمثال التى وردت عنه ﷺ الدالة على ذلك والمؤيدة له :

١ — كان رسول الله ﷺ أحسنَ الناس خُلقاً ومعاشرةً . قال أنس رضى الله عنه : خدمتُ النبى ﷺ عشر سنين فما قال لى : أفٍ قط ، ولا قال لشىء صنعته لِمَ صنعته ؟ ولا لشىء تركته لِمَ تركته ؟

٢ ـ روى أنه عليه الصلاة والسلام كان فى سفر وأمر أصحابه بإصلاح شاة فقال رجل : يارسول الله علىّ ذبحها ، وقال آخر : علىّ سلخها . وقال آخر : على طبخها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعلىّ الحطب ، فقالوا : يارسول الله نكفيك العمل ، فقال : علمت أنكم تكفوننى ، ولكن أكره أن أتميز عليكم ، وأن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه .

٣ ـ روى أبو يعلى : أن أبا هريرة رضى الله عنه حدّث أنه دخل السوق يوماً مع رسول الله ﷺ فاشترى الرسول سراويل ودفع الثمن ، وكان لأهل السوق وزّان يزن الدراهم فقال له ﷺ : « زن وأرجح » أى أعط الميزان حقه فقال الوزّان : هذه كلمة ماسمعتها من مشترٍ قط .

فقال أبو هريرة للوزّان : كفى بك ضعفاً فى دينك وجفاء ألا تعرف نبيك ؟

فلما سمع ما قاله طرح الميزان من يده ، وأقبل على رسول الله ﷺ يريد تقبيل يده . فقال له النبى ﷺ « مَه » يعنى : اكفف ثم جذب يده منه وقال : « إنما تفعل هذه الأعاجم لملوكها ولست بملِك إنما أنا رجل منكم » .

ثم أخذ رسول الله ﷺ سراويله التى اشتراها ومضى .

قال أبو هريرة : فذهبت لأحملها عنه فقال : « صاحب الشىء أحق بشيئه أن يحمله ، إلا أن يكون ضعيفاً يعجز عنه فيعينه أخوه المسلم » .

٤ ـ ومرّ النبى ﷺ فى يوم عيد بصبية يلعبون ووجد بجانبهم طفلاً لا يشاركهم فى لعبهم ، وعليه أثر الحزن ، فدنا منه وسأله عن أمره . فأجابه :

بأنه يتيم الأب ، وأن أمه تزوّجت بغير والده بعد موته ، وليس له من يعوله ، وهذا سبب حزنه وكدره .

فسرّى عنه عليـه الصلاة والسلام وقال له ألا ترضى أن يكون محمد لك أبًا ؟ وعائشة أمًّا ، وفاطمة أختاً . فرضى فرحاً مسروراً ، وتربى بين سيد الآباء وأجل الأمهات ، وخير الإخوان .

٥ ـ وقد بلغ من حسن خلقه ﷺ ورفقه بأهله أنه كان يتلطف إذا قام من نومه حتى لا تنزعج ، ويتوضأ بنفسه لا يوقظها ، ولا الخادم لتسكب عليه وضوءه .

٦ ـ كان ﷺ فى لحاف إحـداهن (إحدى زوجاته) ذات ليلة فانسل من تحت لحافها وفتح الباب وأغلقه بلطف ، وكانت يقظى فظنت أنه يذهب لغيرها من أهله فتبعته بسرعة تنظر أين يذهب ؟ فذهب حتى أتى البقيع (المقبرة التى بالمدينة) فوقف يدعو لأهله ويطيل الدعاء ، فلما تهيأ ليرجع رجعت بسرعة إلى مرقدها ودخل ﷺ على الأثر فعرف أنها كانت يقظى فقال: مالكِ ؟ فأخبرته فقال : أظننت أن يحيف عليك رسول الله ؟ .

٧ ـ ونادى عليه الصلاة والسلام خادمة وكانت بحيث تسمع فلم تجب . فلما نظر إليها وبيده مسواك قال : لولا خوف القصاص لأوجعتك بهذا .

وقال أنس رضى الله عنـه : إذا أرسلنى رسول الله ﷺ لقضاء حاجة فأبطأت ولم تقض فيريد أهل البيت أن يعنفونى ـ شأن الخادم إذا أبطأ ـ

فيقول عليه الصلاة والسلام : دعوه لو قدر لـكان .

٩ ـ وروى أبو يعلى عن حرب بن سريج قال: حدثنى رجل من (بلعدوية) قال : حدثنى جدّى قال : انطلقت إلى المدينة فنزلت عند الوادى فإذا رجلان بينهما عنز واحدة و إذا المشترى يقول للبائع : أحسن مبايعتى . قال : فقلت فى نفسى : هـذا الهاشمى الذى قد أضل الناس ؟ أهو هو ؟ قال : فنظرت فإذا الرجل حسن الجسم ، عظيم الجبهة ، دقيق الأنف ، دقيق الحاجبين . و إذا من ثغرة نحره إلى سرته مثل الخيط الأسود شعر أسود ، و إذا هو بين طمرين قال : فدنا منا فقال : السلام عليكم ، فرددنا عليـه فلم ألبث أن دعا المشترى فقال : يارسول الله قل له يحسن مبايعتى ، فمدّ يده وقال : « أموالـكم تملـكون . إنى أرجو أن ألقى الله عز وجل يوم القيامة لا يطلبنى أحد منكم بشىء ظلمته فى مال ولا فى دم ، ولا عرض إلا بحق ؛ رحم الله امرأ سهل البيع ، سهل الشراء ، سهل الأخذ ، سهل العطاء ، سهل القضاء ، سهل التقاضى » ثم مضى ، فقلت والله لأقضين هذا فإنه حسن القول ، فتبعته فقلت : يامحمد . فالتفت إلىّ بجميعه فقال : ما تشاء ؟ فقلت أنت الذى أضللت الناس ، وأهلـكتهم ، وصددتهم عما كان يعبـد آباؤهم ؟ قال : ذاك الله . قال : ما تدعو إليه ؟ قال : أدعو عباد الله إلى الله . قال : قلت ماتقول ؟ قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنى محمد رسول الله وتؤمن بما أنزله علَىّ ، وتكـفر باللات والعزى (أسماء بعض الأصنام) وتقيم الصلاة ؛ وتؤتى الزكاة ، قال : قلت وما الزكاة ؟ قال : يرد غنينا على فقيرنا . قال : قلت : نعم الشىء تدعو إليه . قال : فلقد كان وما فى الأرض أحد يتنفس

أبغض إلىّ منه ، فما برح حتى كان أحب إلىّ من ولدى ووالدى ومن الناس أجمعين ، قال : فقلت : قد عرفت . قال : قد عرفت .

قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنى محمد رسول الله ، وتؤمن بما أنزل عَلَىّ قال : قلت : نعم يا رسول الله إنى أرد ماءً عليه كثير من الناس فأدعوهم إلى مادعوتنى إليه فإنى أرجو أن يتبعوك . قال : نعم فادعهم . فأسلم أهل ذلك الماء رجالهم ونساؤهم فمسح رسول الله ﷺ رأسه .

١٠ — وروى الطبرانى عن كعب بن عجرة قال :

جلسنا يوماً أمام رسول الله ﷺ فى المسجد فى رهط منا معشر الأنصار ورهط من المهاجرين ، ورهط من بنى هاشم ، فاختصمنا فى رسول الله ﷺ أيّنا أولى به وأحب إليه ؟ قلنا : نحن معشر الأنصار آمنا به واتبعناه وقاتلنا معه وكتيبته فى نحر عدوه ، فنحن أولى برسول الله ﷺ وأحبهم إليه .

وقال إخواننا المهاجرون : نحن الذين هاجرنا مع الله ورسوله وفارقنا العشائر والأهلين والأموال ، وقد حضرنا ما حضرتم وشهدنا ما شهدتم فنحن أولى برسول الله ﷺ وأحبهم إليه .

وقال إخواننا من بنى هاشم : نحن عشيرة رسول الله ﷺ وحضرنا الذى حضرتم وشهدنا الذى شهدتم فنحن أولى برسول الله ﷺ وأحبهم إليه .

فخرج علينا رسول الله ﷺ فأقبل علينا فقال : إنكم لتقولون شيئا . فقلنا : مثل مقالتنا .

فقال للأنصار : صدقتم ، ومن يرد هذا عليكم ، وأخبرناه بما قال إخواننا

المهاجرون . فقال : صدقوا من يرد هذا عليهم ، وأخبرناه بما قال بنو هاشم .
فقال : صدقوا من يرد هذا عليهم ، ثم قال : ألا أقضى بينكم ؟ قلنا : بلى ، بأبينا أنت وأمنا يارسول الله .

قال : أما أنتم يامعشر الأنصار فإنما أنا أخوكم .

فقالوا : الله أكبر ، ذهبنا به ورب الكعبة .

وأما أنتم يامعشر المهاجرين فإنما أنا منكم .

فقالوا : الله أكبر ، ذهبنا به ورب الكعبة .

وأما أنتم بنو هاشم منى و إلىّ . فقمنا وكلنا راضٍ مغتبط برسول الله ﷺ

١١ — وجاء فى كتاب الذخائر أن رسول الله ﷺ خرج إلى السوق يوماً ومعه ثمانية دراهم فإذا بامرأة على الطريق تبكى فقال لها : مايبكيك ؟ قالت بعثنى أهلى بدرهمين لأشترى بهما حاجتهم فأضللتهما فأعطاها درهمين ومضى بستة دراهم ، فاشترى منها قميصاً ولبسه ، وانصرف فإذا بشيخ من المسلمين عارٍ وهو ينادى من كسانى كساه الله من خضر الجنة .

فلم يتمالك ﷺ أن تجرد وألقى عليه القميص ، ثم رجع إلى السوق فاشترى بدرهمين قميصاً فلبسه ، وأقبل يبادر الليل ، فإذا بالمرأة حيث تركها تبكى . فقال لها : مايبكيك ؟ فقالت : بأبى أنت وأمى يارسول الله طالت غيبتى عن أهلى وأخشى عقوبتهم . فقال لها : الحقى بأهلك ، وجعل يتبعها حتى أتت دور بعض الأنصار ، و إذا رحالهم خلوف ليس فيها إلا النساء . فقال : السلام عليكن ورحمة الله ، فسمعه النساء فعرفنه ولم يجبن فعاد الثانية ، ثم الثالثة رافعاً صوته

فقلن جميعاً : السلام عليك يارسول الله ورحمة الله و بركاته بآبائنا أنت وأمهاتنا يارسول الله . فقال : أما سمعتن ابتداء سلامى ؟ فقلن : بلى ولكن أحببنا أن نكثر لأنفسنا وذرياتنا من بركة تسليمك . فقال : إن جاريتكن هذه قد أبطأت عنكن ، وخشيت العقوبة ، فهبن لى عقوبتها ، فقلن : قد شفعناك فيها يارسول الله ووهبناك عقوبتها ، وقد أعتقناها لممشاها معك فهى حرة لوجه الله . فانصرف عليه الصلاة والسلام وهو يقول : مارأيت ثمانية أعظم بركة من هذه الثمانية ، آمن الله بها خائفاً وكسا بها عاريين ، وأعتق بها نسمة ، وما من مسلم يكسو مسلماً إلا كان فى حفظ الله مادامت عليه رقعة .

١٢ — واسترقّ (زيد بن حارثة) فى سبى فى الجاهلية ، وملكته خديجة زوج محمد ﷺ فوهبته له . فلما علم أهل زيد بأمره ذهب منهم أبوه وعمه ليفتدوه من الرسول . فلما جاءوا خيّره النبى ﷺ بين الانصراف مع أهله حرًّا و بين إقامته معه ، فآثر جوار النبى ﷺ على جوار أبيه . فأعتقه النبى ﷺ وأكرمه .

١٣ — ولما وفد عليه ﷺ وفد بنى عامر قال أحدهم : أنت سيدنا . فقال عليه الصلاة والسلام : السيد الله تبارك وتعالى . فقالوا : أفضلنا وأعظمنا طولاً فقال : قولوا بقولكم ، أو بعض قولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان .

١٤ — ووفد وفد للنجاشى (ملك الحبشة) فقام النبى ﷺ يخدمهم فقال له أصحابه : نكفيك . فقال : إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين ، و إنى أحب أن أكافئهم .

١٥ — وقال ابن الطفيل : رأيت النبى ﷺ وأنا غلام إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه ، فبسط لها رداءه ، فجلست عليه ، فقلت من هذه ؟ قالوا : أمه التى أرضعته (السيدة حليمة السعدية) .

١٦ — وقالت عائشة رضي الله عنها : ما كان أحـد أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ مادعاه أحد من أصحابه ، ولا أهل بيته إلا قال : لبيك .

١٧ — ودخل نفر على زيد بن ثابت (خادم الرسول) فقالوا له : حدثنا أحاديث رسول الله ﷺ . قال : ماذا أحدثكم ؟ كنت جاره فكان إذا نزل عليه الوحى بعث إلىّ فكتبته له ، فكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا ، فكل هـذا أحدثكم عن رسول الله ﷺ .

أمثال أخرى عن السلف الصالح فى حسن الخلق .

١٨ — وروى أن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه ، دعا غلاماً له فلم يجبه ، فدعاه ثانياً وثالثاً فرآه مضطجعاً فقال له : أما تسمع ياغلام ؟ قال : نعم . قال : فما حملك على ترك جوابى ؟ قال : أمنت عقوبتك فتكاسلت ، فقال : اذهب فأنت حرٌّ لوجه الله .

١٩ — وكان ابن عمر رضى عنه إذا رأى أحداً من عبيده يحسن صلاته يعتقه ، فعرفوا ذلك من خلقه ، فكانوا يحسنون الصلاة رياء له ، فكان يعتقهم فقيل له فى ذلك . فقال : مَن خدعنا فى الله انخدعنا له .

٢٠ — وقال يحيى بن أكثم : ماشيت المأمون يوماً فى بستان (مؤنسة)

بنت المهدى فكنت فى الجانب الذى يستره من الشمس ، فلما انتهى إلى آخره وأراد الرجوع أردت أن أدور إلى الجانب الذى يستره من الشمس ، فقال : لا تفعل ؛ ولكن كن بحالك حتى أسترك كما سترتنى ، فقلت يا أمير المؤمنين لو قدرت أن أقيك حرّ النار لفعلت ، فكيف الشمس ؟ فقال : ليس هذا من كرم الصحبة ، ومشى يسترنى من الشمس كما سترته .

٢١ ـ وحكى أن رجلاً من عامة الناس شتم (الأحنف بن قيس) مع عظم قدره ، فلم يرد عليه ومشى فى طريقه ، فمشى الرجل وراءه وهو يزيد فى شتمه . فلما قرب الأحنف من قبيلته وقف وقال للرجل : إن كان قد بقى فى نفسك شىء فقله كى لا يسمعك أحد من الحى فيؤذيك .

٢٢ ـ وسرق بعض حاشية (جعفر بن سليمان) جوهرة نفيسة وباعها بمال جزيل ، فأنفذ إلى الجوهريين بصفتها . فقالوا : باعها فلان من مدة . ثم إن ذلك الرجل الذى سرقها قبض عليه ، وأحضر بين يدى جعفر . فلما رأى ما ظهر عليه قال له : أراك قد تغير لونك ، ألست يوم كذا طلبت منى هذه الجوهرة فوهبتها لك ؟ وأقسم وقال : لقد نسيت هذا ، ثم أمر للجوهرى بثمنها وقال للرجل : خذها الآن حلالاً طيباً وبعها بالثمن الذى يطيب خاطرك به ، لا تبع بيع خائف .

٢٣ ـ وحكى أن (بهرام) الملك خرج يوماً للصيد فانفرد عن أصحابه فرأى صيداً فتبعه طامعاً فى لحاقه حتى بعد عن عسكره ، فنظر إلى راع تحت شجرة ، فنزل عن فرسه ليبول وقال للراعى : احفظ عَلَىّ فرسى حتى أبول ،

فعمد الراعى إلى العنان وكان ملبساً ذهباً كثيراً ، فاستغفل (بهرام) وأخرج سكيناً فقطع أطراف اللجام ، وأخذ الذهب الذى عليه ، فرفع (بهرام) نظره إليه فرآه ، فغض بصره ، وأطرق برأسه إلى الأرض ، وأطال الجلوس حتى أخذ الرجل حاجته .

ثم قام (بهرام) فوضع يده على عينه وقال للراعى :

قدم إلىّ فرسى ، فإنه قد دخل فى عينىّ من سافى الريح فلا أقدر على فتحها ، فقدمه إليه فركب وسار إلى أن وصل إلى عسكره فقال لصاحب مراكبه : إن أطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها أحداً .

(عن كتاب السمير الواعظ من ص ١١ إلى ص ٢٣)

حسن الخُلُق دائم ، وحسن الوجه زائل

دخل صبى مع أخته فى قاعة الاستقبال ، فوجدا مرآة جميلة ، فرغبا فى أن ينظرا فيها ، وكان الصبى حسن الصورة ، جميل الوجه ، فجعل يبتسم فرحاً مسروراً بصورته ، وأما أخته التى كانت مصابة بمرض الجدرى الذى شوّه وجهها قليلاً ، فأخذت تبكى عند تأملها فى تقاطيع وجهها المعكوسة فى المرآة بكاء الحسرة ، فحضرت أمها فى هذا الوقت وشاهدت الحالة فقالت لابنها :

يا بنى أخطأت بتكبرك ، و إعجابك بنفسك لأجل جمال زائل ، أما أنت يا حبيبتى لا تأسفى ولا تحزنى واعلمى أن هناك شيئاً أفضل وأحسن من جمال الوجه وهو حسن الخلق ؛ لأن جمال الوجه عرض زائل ، وحسن الخلق فضل دائم ، ولقد صدق الشاعر فى قوله :

« وما الحسن فى وجه الفتى شرفاً له إذا لم يكن فى فعـله والخلائق »

حسن الخُلُق، أفضل من حسن الخَلق

كان فتى من طىء يجلس إلى الأحنف بن قيس، وكان يعجبه لحسن وجهه، فقال له يوماً: يا فتى هل تزين جمالك بشىء؟

قال: نعم، إذا حدثت صدقت، و إذا حُدثت استمعت، و إذا عاهدت وفيت، و إذا وعدت أنجزت، و إذا اؤتمنت لم أخن.

فقال الأحنف: هذه مكارم الأخلاق حقاً.

الفيلسوف والحسن الوجه

نظر فيلسوف إلى رجل حسن الوجه، خبيث النفس، فقال: بَيتٌ حسن، وفيه ساكن نذل.

ورأى آخر شاباً جميلاً فقال: سَلبت محاسن وجهك فضائل نفسك، وقال آخر:

« لا تجعلن دليل المرء صورته كم مخبر سمج من منظر حسن »

الحض على مكارم الأخلاق

قال الأشعث بن قيس لقومه:

إنما أنا رجل منكم، ليس لى فضل عليكم، لكن أبسط لكم وجهى، وأبذل لكم مالى، وأقضى حوائجكم، وأصون حريمكم، فمن فعل منكم مثلى، فهو مثلى، ومن زاد علىّ فهو خير منى، ومن زدت عليه فأنا خير منه.

قيل له : يا أبا محمد ما يدعوك إلى هذا الكلام ؟

قال : حضهم على مكارم الأخلاق .

لا يحتقر قبيح الصورة ، فربما كان فاضلاً

دخل أحد العلماء على الرشيد ، وكان قبيح الصورة،قصير القامة فاستحقره الرشيد فقال : ما أقبح هذا الوجه !

فقال العالم : يا أمير المؤمنين ، إن حسن الوجه ، ليس مما يتوسل به إلى الملوك ، هذا يوسف عليه السلام أحسن الناس وجهاً،قال لربه :« أجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ » ولم يقل إني حسن الوجه جميل .

قال : صدقتَ ، ارتفع .

فرفع قدره ، وقرّ به من مجلسه .

بين معاوية وشريك بن الأعور

دخل شريك بن الأعور على معاوية وكان دمياً فقال له معاوية : إنك لدميم ، والجميل خير من الدميم ، وإنك لشريك ، وما لله من شريك ، وإن أباك الأعور ، والصحيح خير من الأعور ، فكيف سُدت قومك ؟

فقال شريك : وإنك أنت لمعاوية ،وما معاوية إلاّ كلبة عوت فاستعوت الكلاب ، وإنك لابن صخر ،والسّهل خير من الصخر ، وإنك لابن حرب، والسلم خير من الحرب ؟ وإنك لابن أمية ، وما أمية إلا أمة . فكيف صيروك أمير المؤمنين ؟ وأنشد :

« أيشتمنى معاوية بن حرب وسيفى صارم ومعى لسانى »
« وحولى من بنى عمى ليوث ضراغمة تهش إلى الطعان »

فقال معاوية : كفى كفى يا شريك .

يثاب قبيح الوجه لحسن فعله

يحكى أن إبراهيم الموصلى قال .

اجتزنا فى بعض أسفارنا بحىّ من أحياء العرب ، فإذا برجل منهم قبيح الوجه للغاية ، طويل ، ذى لحية طويلة بيضاء ، يضرب زوجة له وهى جارية حسناء كاعب كأنها البدر ، فقمنا إليه لمنعه عن ضربها فقالت : دعوه إنه أسدى إلى الله حسنةً ، وأذنبت أنا ذنباً ، فجعلنى الله ثوابه ، وجعله عقابى .

بين المأمون ومحمد بن عبّاد

دخل محمد بن عبّاد على المأمون فجعل يلبسه العمامة بيده وجاريته على رأسه تبتسم .

فقال لها المأمون : مِمّ تضحكين ؟

فقال ابن عباد : أنا أخبرك يا أمير المؤمنين ، هى تتعجب من قبحى وإكرامك لى .

فقال لها المأمون : لا تعجبى ، فإن تحت هذه العمامة كرماً ومجداً وأنشد :

« وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم إذا كانت الأعراض غير حسان »
« فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى فما كل مصقول الحديد يمانى »

منتهى حسن الخلق

نقل عن قيس بن عاصم : أنه بينما هو جالس ذات يوم فى داره إذ جاءته جارية بسفود عليه شواء (سيخ كباب) فسقط من يدها فوقع على ابن له فمات ، فدهشت الجارية ، فقال لها قيس : لا روع عليك ، أنت حرة لوجه الله تعالى ، فتعلموا يا أولادى حسن الخلق .

إذا حسنت أخلاق السيد، ساءت أخلاق خادمه

قال عبد الله بن طاهر : كنت عند المأمون يوماً فنادى الخادم قائلاً : ياغلام فدخل عليه غلام تركى وهو يقول : أما ينبغى للغلام أن يأكل و يشرب ؟ كلما خرجنا من عندك تصيح ياغلام ياغلام ، إلى كم ياغلام ، ياغلام ؟ فنكس الخليفة رأسه طويلاً فما شككت فى أن يأمرنى بضرب عنقه .

ثم قال : ياعبدالله ، إن الرجل إذا حَسنت أخلاقه ساءت أخلاق خادمه ، و إن ساءت أخلاقه ، حسنت أخلاق خادمه ، ولا نستطيع أن نسىء أخلاقنا لتحسن أخلاق خادمنا .

زين العابدين رضى الله عنه وغلامه

يروى أن زين العابدين استدعى غلاماً له وناداه مرتين فلم يجبه فقال له زين العابدين : أما سمعت ندائى ؟ فقال : بلى قد سمعت ! قال : فما حملك على ترك إجابتى ؟ قال : أمنت منك ، وعرفت طهارة أخلاقك ، فتكاسلت ، فقال : الحمد لله الذى أمن منى عبدى .

(التبر المسبوك)

علاج سوء الخلق بالعقل والحلم

كان صاحب مزرعة رجلاً صالحاً تقياً ، وعنده غلام للحراسة ذو أخلاق شرسة ، يغضب من أقل كلمة ، و يحتد و يقذف أفظع الشتائم ، فكان صاحب المزرعة ينصح له بالابتعاد عن هذه الخصلة الذميمة ، و يحثه مراراً على أن يقمع غضبه ، و يضبط نفسه ، و يحفظ لسانه من ذكر قبيح القول ، فكان يجيبه : هذا مستحيل عليّ ؛ لأنى أرى نفسى مصابةً بداءسوء الخلق ، وجبلت على معاكسة الإنسان والحيوان ؛ فلما أراد صاحبالمزرعة أن يعالج أخلاق هذا الغلام الشرير قال له : اصغ إليّ أيها الغلام ، وانظر إلى هذه القطعة الجميلة الفضية الجديدة ، التى تساوى خمسة فرنكات ، فإنى مستعد لأن أهبك إياها فى هذا المساء إن صبرت طول النهار دون أن تتفوّه بكلمة قبيحة ، وكظمت غيظك ، فقبل الغلام هذا الشرط برضا وفرح ؛ إلّا أن رجال القرية ـ وكانوا يكرهونه لسوء خلقه وسوء معاملته ـ اتفقوا فيما بينهم على حرمانه من هذه المكافأة ، ولذا أفرغوا مجهودهم فىمعاكسته لاستفزازه وتهييجغيظه ؛ ولكن الغلام ضبط نفسه جيداً ، ولم ينطق بكلمة تدل على سوء أدبه .

فلما جاء المساء ، دفع له صاحب المزرعة الريال الذى وعده به ، وقال له :

يلزمك يابنى أن تستحى خجلاً ؛ لأنك لم تستطع أن تتغلب على أميالك العصبية ، إلا لأجل هذهالقطعةالفضية ، و إنكعاجز عن قبولالنصيحة الذهبية حبًافى الله ، وعملاً بأوامره ، فأثرهذا القولفى الغلام ، فاجتهد فى إصلاح خلقه السىء ، وتجنب خطيئةالغضب والحدة ، وأصبح لطيف الطبع ، حسن الخلق .

القائد السيء الخلق والراهبة الصالحة

حكى : أنه كان فى الجيش الفرنسى قائد لا يتقهقر أمام عدوه فى الحرب كما أنه لا يتقهقر أمام أحد فى الشتم والسب .

وقد لازمه هذا الخلق السيء حتى بلغ من الكبر عتياً ، وفاجأه مرض النقطة (الشلل) حتى جعله يلازم الفراش فى بقية حياته التعسة ، فطلب من إحدى جمعيات الراهبات راهبة تعينه على باقى أيامه القليلة ، وقد قدّر إخلاص أولئك الأخوات الصالحات حق قدره ، وحسن اعتنائهن بالمرضى ، وما كادت تصل تلك الراهبة إلى سريره حتى تلقّاها بالقذف والسب الذى اعتاد عليه ، فأرادت الرجوع من حيث أتت لعدم علمها بحالته ، لكنها كانت ذات عقل حكيم ، وصبر عظيم ، فابتدأت تهدىء من روعه ، وتسكن من حدته .

فقال لها القائد : لا تؤاخذينى يا أختى ، فلست أقدر أن أمنع نفسى عما تسمعين ، فهذه عادتى منذ ثلاثين سنة .

فقالت له الراهبة : أتظن أنك لا تستطيع مداواة هذه العلة الذميمة ؟ فاصغ إلىّ أيها القائد إذا كنت تريد أن أستأصل شأفة هذا الداء ، فإن الدواء قريب منك .

فقال لها : وأنا أريد ذلك من صميم فؤادى .

فقالت : وهل تستطيع معى صبراً ؟

فقال : إذا أمكننى .

فقالت له : إنك لن تستطيع معى صبراً ، حتى تطاوعنى فى كل ما آمرك

به ولا تعصى لى أمراً .

فأجاب بالإيجاب .

فقالت : دواؤك ألاّ تتلفظ بالسب ، و إذا تلفظت به ، تدفع لى فى كل مرة مائة درهم أنفقها على الفقراء .

فقال : مائة درهم على كل سَبّة ! إنك تبغين إفلاسى أيتها الراهبة .

فقالت : ألم تَعِدنى أنك لا تعصى لى أمراً ! فتدبر فى أمرك أيها القائد ، فلا تسب ولا تشتم لكيلا تخسر شيئاً .

فقال : وامصيبتاه ! لا أسب ولا أشتم ،إنى لا أجد أمراً أصعب علىّ من هذا و يجب أن أموت فى المستشفى ولا تحضرينى .

فصارت تخادعه وتلاطفه ، وتبدى له سوءاته ، حتى قبل منها شرطها . ففى أول مرة تلفظ بكلمة قبيحة جداً .

فقالت له : هات مفتاح الخزانة لآخذ الدراهم ، ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبراً ؟

فقال : لا تؤاخذينى بما نسيت ، فلست أعصى لك أمراً .

و بعد نصف ساعة أعاد الكرة ، فأعادت الراهبة المفتاح فى الخزانة وأخذت مائة درهم أخرى ، فتململ وأخذ منه الغيظ مأخذاً عظيماً ، وعض على أصابعه ندماً على ما فرط منه وقال :

إذا استمر الحال معى على ذلك وقعت فى شرك الإفلاس ، فما علىّ إلاّ السكوت و بعد ساعة أراد أن يفعل حسب عادته فخرج نصف الكلمة على

الرغم منه ، ولما تذكر أنه سيخسر المائة درهم أطبق شفتيه على النصف الآخر؛ ولكن الراهبة أخذت مبلغها فاكتفى بهذه الخسارة فى يومه .

وفى اليوم الثانى ، كان يمر السب والقذف على ذاكرته مرور الخيال ويمنعه من التفوه به حرصه على دراهمه شيئاً فشيئاً ، واكتفى بأن ضم يديه على صدره وتنهد بقلب مقروح ، ومضى على ذلك ثلاثة أيام ابتدأ بعدها القائد يتناسى ذلك الطبع الردىء ، والخلق السيء ، حتى شفى من سوء خلقه ، ولكن لم يشف من مرضه ، ومات بعد ذلك بزمن قليل نظيفاً تائباً من ذنوبه ، بريئاً من عيوبه ، ولسان حاله يقول :

« يهون علينا أن تصاب جسومنا وتسلم أعراض لنا وعقول »

زين العابدين والرجل الشرس

خرج زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما إلى المسجد فسبه رجل فقصده غلمانه ليضربوه ويؤذوه ، فنهاهم زين العابدين وقال : كفوا أيديكم عنه؛ ثم التفت إلى ذلك الرجل (السيء الخلق) وقال : ياهذا أنا أكثر مما تقول ، وما لا تعرفه منى أكثر مما عرفته ، فإن كان لك حاجة فى ذكره ذكرته لك ، فخجل الرجل واستحيا ، فخلع عليه زين العابدين قميصه ، وأمر له بألف درهم ، فمضى الرجل وهو يقول : أشهد أن هذا الشاب ولد رسول الله ﷺ .

(التبر المسبوك)

عمر بن عبد العزيز والرجل المجنون

لما ولى عمر بن عبد العزيز خرج ليلةً ومعه حرسىّ ، فدخل المسجد فمر

فى الظلمة برجل نائم ، فعثر به فرفع رأسه إليه فقال : أمجنون أنت ؟ قال : لا ، فهمّ به الحرسىّ ، فقال له عمر : مَه ، إنما سألنى : أمجنون أنت ؟ فقلت : لا

(سيرة عمر بن عبد العزيز)

أبو حنيفة والرجل السيئ الخلق

شتم رجل أبا حنيفة وهو فى درسه وأكثر ، فما التفت إليه ، ولا قطع كلامه ، ونهى أصحابه عن مخاطبته ، فلما فرغ وقام ، تبعه الرجل إلى باب داره فقام على بابه ، وقال للرجل : هذه دارى ، إن كان بقى معك شيء فأتمه ، حتى لا يبقى فى نفسك شيء ، فاستحيا الرجل وانصرف مخذولاً .

الرجل السفيه والرجل العاقل

اعتدى رجل سفيه على أحد العقلاء بكلام بذىء فلم يلتفت إليه ولم يجبه متمسكاً بقول الشاعر :

« إذا نطق السفيه فلا تُجبه   فخيرٌ من إجابته السكوت »

فسُئِل عن سبب تمنعه عن إيقافه عند حده ، وتأديبه بما يستحقه فأجاب السائل : إذا نبح عليك كلب ، فهل تنبح مثله ؟ قال : لا .

و إذا رفسك حمار أترفسه ؟ قال : لا .

و إذا نطحك ثور فهل تنطحه ؟ قال : لا .

فأجابه : إن السفيه لا يمتاز عن تلك الحيوانات لا شتراكه معها فى أقبح صفاتها ، وهى الشراسة والحماقة .

فاقتنع السائل وانصرف ، وهو يقول : لا غرابة إذا سعد كبار العقول

وشقى صغارها وأنشد :

ما وهب الله لامرئ هبة   أحسن من عقله ومن أدبه
فهما حياة الفتى، فإن فقدا   ففقد الحياة أليق به

الولد السفيه الجاهل

أراد أحد السفهاء الجهَّال أن يُعَيِّرَ أحد الأدباء العلماء بأخيه فقال له: ألم تعلم بأن أخاك كان خادماً عند أبى ؟

فأجابه الأديب فى الحال : نعم لا أنكر أن أخى كان خادماً عند والدك ، ولكن حفظ له ماله وشرفه وسمعته ، أما أنت فلم تحفظ له ثروته ولا كرامته ، فأيكما أفضل ؟ فأخجله وأسكته .

الولد القبيح

تجاسر ولد قبيح ، عديم التربية والتهذيب ، على رجل عاقل مهذب وشتمه وعَيَّره بفقره ، وغنى والده .

فقال له : نعم ، إن والدى لم يترك لى شيئاً ، وكان حكيماً شريفاً ، ومات شهيداً ، ضحية القيام بالواجب ، أما والدك فكان غنيًّا ، وترك لك ولإخوتك أطياناً وعقاراً ؛ ولكن ، بالله عليك ، قل لى :

هل ترك فيكم رجلاً رشيداً ؟ ثم أنشد يقول :

« لا تقل أصلى وفصلى أبداً   إنما أصل الفتى ما قد حصل »

ثم قال :

« ما بقومى شرفت ؛ بل شرفوا بى   وبنفسى ارتفعت لا بجدودى »

قصص وأمثال فى فضل الصمت والكلام

ستر عيوب الإنسان ، فى حفظ اللسان

اجتمع قُسُّ بن ساعدة ، وأكثم بن صيفى ، فقال أحدهما لصاحبه :

كم وجدت فى ابن آدم من العيوب ؟

قال : هى أكثر من أن تحصر ، وقد وجدت خصلةً واحدةً إذا استعملها الإنسان سترت جميع عيوبه .

قال : وما هى ؟

قال : حفظ اللسان .

وقال أحد الشعراء :

« قبيح من الإنسان ينسى عيوبه ويذكر عيباً فى أخيه قد اختفى »

« فلو كان ذا عقل لما عاب غيره وفيه عيوب لو رآها بها اكتفى »

انظر إلى عيوبك قبل أن ترى عيوب غيرك

كان أحد الفلاحين ذاهباً إلى بلدته حاملاً على كتفه خرجًا مملوءاً .

و بينما هو سائر فى الطريق قابله أحد إخوانه ورافقه ، فأخذ الفلاح يتكلم معه على نقائص الغير ، ولم يتفوّه بكلمة فى نقائصه .

فلما ضجر رفيقه من كثرة كلامه ، وذكره عيوب الناس ، قاطعه قائلاً :

يظهر لى يارفيقى أنك خبأت كل نقائص الناس فى فتحة الخرج التى أمامك حتى تبصرها ، وتستطيع أن تسردها على حسب هواك .

أما نقائصك فألقيتها وراء ظهرك ، فى الفتحة الخلفيــة ، مخافة أن تغشى على بصرك ؛ فأشير عليك أن تدور الخرج حتى ترى عيوبك قبل أن ترى عيوب الناس ، فهذا خير لك وأبقى .

واعلم يا رفيق ، أن الرجل الحــكيم ، هو الذى يحارب نفسه وهواه ولــكنّ الجاهل هو الذى لا يشــتغل إلاّ بمذمة الغير ، وأنشد قول الإمام الشافعى رضى الله عنه :

« إذا رمت أن تحيى سليماً من الردى وذنبــك مغفور وعرضك صيّن »
« لسانك لا تذكر به عورة امرئ فــكلك عورات وللناس ألسن »
« وعينك إن أبدت إليك معــايباً فدعها وقل يا عين للنــاس أعين »

لا عتاب على الفقر ، إنما العتاب على المعايب

عيَّر (ديوجيس) الفيلسوف أراذل الناس بالفقر ، وعابوه به ، فقال لهم : لم أر أحداً عوقب على فقره ، ورأيت كثيراً من الناس أرباب القبائح والخيانات يعاقبون على قبائحهم وخياناتهم ، وقد قال الشاعر :

« عليك نفسك فتش عن معايبها وخل عن عثرات الناس للناس »

وقال آخر :

« عليك بالنفس فاستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان »

جزاء السكوت

قاد تاجر هندى فيلاً إلى السوق لبيعه ، وكان به عيب فى رجله فأتى إنسان

وجعل يدور حول الفيل كأنه يفحصه ، فسأله التاجر عما إذا كان يريد ابتياعه فلم يجب .

ثم جاء رجل آخر ليبتاعه . فتقدم التاجر من الرجل الأول وقال له :

إذا بقيت صامتاً حتى أبيع الفيل أعطيتك مائة قرش ، ثم باعه وأعطى الرجل مائة قرش حسب وعده وقال له :

أخبرنى : كيف عرفت العيب الذى فى رجل الفيل ؟

فقال الرجل : إنى رجل غريب ، ولم أر فيلاً من قبل ، فكنت أفحص الفيل لغرابة منظره ، ولم أر عيباً فيه قط .

فقال له : وأنا أعطيتك هذا المبلغ جزاء سكوتك فاهنأ به .

من قال حسنا ، سمع حسنا

خرج صبىّ فى يوم عطلة المدرسة إلى بعض الغابات للتريض واللعب ، فبينما هو يتغنى ببعض الأناشيد سمع صوتاً كأنه من شخص آخر يردُّ عليه من بعيد بمثل ما يقوله ، ويتغنى بمثل صوته .

فصاح مَن أنت ؟

فسمع الآخر يقول مَن أنت ؟

فقال : أخبرنى مَن أنت ؟

فسمع الآخر يقول : أخبرنى مَن أنت ؟

فظنّ أنّ هناك صبياً آخر يهزأ به .

فقال : حقيقةً إنك قبيح :

فسمع الآخر يقول : حقيقةً إنك قبيح .

فاشتد غضبه ، وقطع فرعاً من شجرة، وذهب يبحث عن الصبيّ ليضر به ولما أعياه البحث ولم يجد أحداً ، رجع إلى أمه متكدراً ، فسألته عن السبب ، قال لها : كان فى الغابة ولد يهزأ بى ، و يردُّ عَلَيَّ كل ما أقول ، ولما بحثت عنه لم أجده .

فقالت له : يا ولدى العزيز لم يكن هناك أحد ، وما سمعته إنما هو صدى صوتك « فلو قلتَ حسناً لسمعتَ حسناً » .

كل ما تقول يعود عليك

كان غلام ماشيـــاً | فى غابة تشفى العليـــل
والجوّ كان صافيـــاً | كالزهر أو كالسلسبيل
سُرَّ الفتىٰ كل السرور | من ذلك الوقت الجميل
صاح يغنى بحبـــور | يا ربَّة المجد الأثيـــل

ردَّ الصَّدى صوت الغلام | فظنه شخصـــاً يكيد
صـــاغ له مُرَّ الـكلام . | والصوت فى الصدى شديد
عاد عليـــه كل ما | يقول شيئاً من جـديد
راح الصَّبى شا كيـــا | لوالد ممَّا يعيـــد
قال أبوه شـــارحاً : | ليس هنـــاك أحدُ
بل ما سمعت واضحـــاً | ما كان منك يوجـــدُ

وهكذا كل الذى تسمعه يُردِّدُ
حلو الكلام والبذى والفحش ليس يحمدُ

« عرفه »

لا تعود لسانك قبح الكلام

غضب أمير على سائس عنده ، وكان الأمير حليماً ، ولم يكن معتاد الشتم والسَّبّ فنادى أحد خدامه ، وقال له : اشتم لى هذا السائس .

فأجابه الخادم بكل أدب وخضوع ، أرجوك يا مولاى أن تعفينى من هذه المأمورية الشاقة ؛ لأنى أخشى أن يعتاد لسانى قبح الكلام !

فسرّ الأمير من حسن جوابه وأجازه .

زن الكلام قبل النطق به

اشتهر أحد الأمراء بالنجابة والفطنة والذكاء منذ نعومة أظفاره ، ولما بلغ السابعة من عمره رآه رجل كبير السِّن فقال له :

إن من كان هذا ذكاءه فى صغره ، يصير بليداً أحمق فى كبره .

فأجابه الأمير على الفور : إذاً كنت أذكى الناس فى صغرك .

فأسكته ، وخجل الرجل من كلامه وانصرف .

حسن التخلص من الكلام المهين

جرت منازعة شديدة بين أحد الملوك وملك آخر ، فعزم الملك الأول أن يرسل إلى خصمه سفيراً ليبلغه كلاماً مهيناً،واختار لذلك أحد الوزراء المقربين

إليه ؛ فلما أحضره عنده أبلغه مراده ، فاعتذر الوزير عن الذهاب خوفاً من سوء العاقبة .

فأجابه الملك : لا تخف ، فإذا حصل لك أقل ضرر قطعت رءوس كل الرجال التابعين لذلك الملك الموجودين فى مملكته .

فأجابه الوزير : مامن رأس من الرءوس التى تقطعها توافق بدنى كرأسى فضحك الملك ، وعدل عن إرساله ، وأجازه لحسن تخلّصه .

الجواب المسكتُ

حنق أعرابى على ابنه فعيَّره بأمّه وقال له :

أتعصينى وتشمخ بأنفك وأنت ابن أمة ؟

فأجاب الولد : يا أبتِ هى والله خير منك .

فقال أبوه : وكيف ذلك وهى أمة ، وأنا حرٌّ ؟

فأجاب الولد : ذلك لأنهـا أحسنت إلىَّ الاختيار ، فولدتنى من حرّ ، وأنت أسأت الاختيار ، فولدتنى من أمة . فـكان جواباً مسكتاً .

جزاء الجواب الحسن

ذكروا أن المتوكل على الله قال ذات يوم لأبى العيناء ، وكان ضريراً : أى شىء فقدته بذهاب بصرك ؟

فقال : فقَدْت كل شىء لحرمانى من رؤيتك يا أمير المؤمنين .

فاستحسن جوابه ، وأمر له بجائزة نفيسة .

تكلم قليلا، واسمع كثيراً

كان سقراط الحكيم قليل الأكل خشن اللباس، فكتب إليه بعض الفلاسفة :

أنت تحسب أن الرحمة لكل ذى روح واجبة وأنت ذو روح فلا ترحمها بترك قلة الأكل، وخشن اللباس .

فكتب فى جوابه :

عاتبتنى على لبس الخشن، وقد يعشق الإنسان القبيحة، و يترك الحسناء المليحة وعاتبتنى على قلة الأكل « و إنما أريد أن آكل لأعيش ، وأنت تريد أن تعيش لتأكل » والسلام .

فكتب إليه الفيلسوف :

قد عرفت السبب فى قلة الأكل، فما السبب فى قلة الكلام ؟ و إذا كنت تبخل عن نفسك بالمأكل فلمَ تبخل عن الناس بالكلام ؟

فكتب فى جوابه :

ما احتجتَ إلى مفارقته، وتركه للناس فليس لك، والشغل بما ليس لك عبث، وقد خلق الله سبحانه وتعالى لك أذنين ولساناً لتسمع ضعف ما تقول، لا لتقول أكثر مما تسمع، والسلام .

السكوت خلة أهل العلم والعقل

احتفل مجلس (كسرى) بوزرائه يوماً، وكان (بزرجمهر) جالساً لا يحرك لسانه .

فلما سُئِل فى ذلك ، قال : اعلموا أيها الوزراء ، أن حكماء النفوس كأطباء الأبدان ، لايصفون الدواء إلا لمن به داء .

وحيث إننى أراكم تصيبون الغرض ، فلست أرى فى نفوسكم من مرض. لذا ترونني ساكتاً صامتاً ، وهذه خلة أهل العلم والفضل ، فإذا رأى أحدكم أن حال الناس مستقيمة بدونه ، تركهم وشأنهم ، ولا حرج عليه إذا صان نفسه عن الكلام .

أما إذا رأى أعمى يريد أن يقع فى بئر وسكت ، فقد عرض نفسه للتأنيب واللوم .

رُبَّ كلمةٍ جلبت نعمة

بينما كان ملك الإنجليز (چورج الأول) ذاهباً إلى « هانوفر » جاع فى أثناء الطريق ، فأخذ بيضتين من منزل أحد الناس وأكلهما .

ثم رفع صاحب المنزل حسابه للملك ، فإذا هو قد طلب ثمن البيضتين عشرين جنيهاً انجليزياً .

فقال له الملك : لماذا الغلاء الفاحش ؟ هل البيض نادر عندكم ؟

فأجاب صاحب المنزل : كلا يامولاى ، ولكن النادر عندنا مرور الملك .

فسُرَّ من حسن جوابه ، وأمر له بما طلب .

إن البلاء موكل بالمنطق

جلس رجل تحت شجرة ، فسمع فوقها صوت طائر ، فرماه فسقط ميتاً بين يديه ؛ فقال : ما أحسن حفظ اللسان ، بالطائر والإنسان ! ثم أنشد يقول :

« يموت الفتى من عثرة بلسـانه وليس يذوق الموت من عثرة الرِّجل »
« فعثرته بالقـول تذهب رأسـه وعـثرته بالرجل تشفى على مهـل »

ليس المرء بحسنه وجماله ، بل بلسانه وعقله

دخل ضمرَةَ بن ضمرة على المنذر بن ماء السماء ، والمنذر إذ ذاك ملك (الحيرة واليمامة) وكان ضَمْرَةُ ذا عقل وحلم وشجاعة وحكمة ، غير أنه كان دميم الخلقة ، قصير القامة ، وكان أمره قد شاع وذاع ، لخصاله المحمودة ، وأعماله المشكورة ، فلما رآه المنذر احتقره وقال : (سماعك بالمعيدى خير من أن تراه). فقال له ضمرة : أيها الملك : ليس المرء بحسنه وجماله ، وبهائه وكماله ، وهيئته وثيابه ، لا والله ، حتى يشرف أصغراه : لسانه وقلبه ، ويعلو أكبراه : همته ولُبُّه ، وقال الشاعر :

« وما المرء إلا الأصغران لسانه ومعقوله والجسم خَلْق مصور »
(ثمار الإنشاء)

من قل كلامه ، كثر صوابه

قال الهيثم بن صالح لابنه : يابنى إذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب
فقال : ياأبتِ فإن أكثرت وأكثرت ؟ (أى كلاماً وصواباً) .
فقال : يابنى ، مارأيت موعوظاً أحق بأن يكون واعظاً منك .

المرء بأصغريه : قلبه ولسانه

ذكر بعض الرُّواة : أنه لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ، قدم عليه وفود

أهل كل بلد ، فتقدم إليه وفد أهل الحجاز ، فاشرأب منهم غلام للكلام .

فقال عمر : ياغلام ، ليتكلم مَن هو أسن منك .

فقال الغلام : ياأمير المؤمنين إنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ؛ فإذا منح الله العبد لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد استحق الكلام ؛ ولو أن الأمور بالسِّنِّ لكان هاهنا مَن هو أحق منك بمجلسك هذا .

فقال عمر : صدقت ، تكلَّم ، فهذا السحر الحلال .

فقال الغلام : ياأمير المؤمنين ، نحن وفد التهنئة ، لاوفد المرزئة . ولم يقدم أحد منا إليك رغبةً ولا رهبةً ، لأننا قد أمنا فى أيامك ماخفنا ، وأدركنا ماطلبنا .

فأعجب عمر بكلامه ، وسأل عن عمره ، فقيل له عشر سنين .

فقال : ارفعوا الغلام فوق مرتبته .

الأطيبان الأخبثان

١ — رُوى أن لقمان النوبى الحكيم أعطاه سيده شاةً وأمره أن يذبحها ، وأن يأتيه بأخبث مافيها ، فذبحها ، وأتاه بقلبها ولسانها .

ثم أعطاه شاةً أخرى وأمره بذبحها وأن يأتيه بأطيب مافيها فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها .

فسأله عن ذلك فقال ياسيدى : لا أخبث منهما إذا خبثا ، ولا أطيب منهما إذا طابا .

٢ — قيل دخل الحسن بن الفضل على بعض الخلفاء ، وعنده كثير من

أهل العلم ، فأحبَّ الحسن أن يتكلم ، فزجره الخليفة . وقال :

أصبي يتكلم فى هذا المقام ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ؟ إن كنتُ صبيًّا فلست بأصغر من هُدْهُد سليمان ، ولا أنتَ بأكبر من سليمان عليه السلام إذ قال : (أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ)

ثم قال : ألا ترى أن الله تعالى فهَّم الحكم ليحيى ؟ فقال : (وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) ولو كان الأمر بالأكبر لكان داود عليه السَّلَام أولى

إن من البيان لسحراً

الرازى والرجل

قال رجل ليحيى بن معاذ الرازى : إنك تحب الدنيا .

قال يحيى للرجل : أخبرنى عن الآخرة ، أبالطاعة تنال أم بالمعصية ؟

قال : لا ؛ بل بالطاعة .

قال : فأخبرنى عن الطاعة ، أبالحياة تنال أم بالممات ؟

قال : لا ؛ بل بالحياة .

قال : فأخبرنى عن الحياة ، أبالقوت تنال ؛ أم بغير القوت ؟

قال : لا ؛ بل بالقوت.

قال : فأخبرنى عن القوت ، أمن الدنيا هو ، أم من الآخرة ؟

قال بلا ؛ بل من الدنيا .

قال : كيف لا أحب الدنيا ، قدر لى فيها قوت ، أكتسب به حياةً



أدرك بها طاعةً ، أنال بها الآخرة .

قال الرجل : إن من البيان لسحراً .

فصاحة اللسان ، توجب الإحسان

كان (الحسن بن على) جالساً يوماً ، فجاء رجل وسأله شيئاً من الصدقة ولم يكن عنده ما يسد به رمقه ، فاستحيا أن يرده فقال :

ألا أدلك على شيء يحصل لك منه البرُّ والإحسان ؟

فقال : ماذا تدلنى عليه ؟

قال : اذهب إلى الخليفة ، فإن ابنته توفيت ، وانقطع عليها ، وما سمع من أحد تعزيةً ، فعزه بهذه التعزية يحصل لك بها الخير .

فقال : حفظنى إياها .

قال : قل له ـ الحمد لله الذى سترها وأكرمها بجلوسك عَلَى قبرها ، ولا هتكها وأحرمها بجلوسها على قبرك .

فذهب إلى الخليفة وعزّاه بهذه التعزية .

فلما سمعها ذهب عنه الحزن وأمر له بجائزة .

وقال : بالله عليك أكلامك هذا ؟

قال : لا ، بل كلام الحسن بن على .

فقال : صدقت فإنه معدن الكلام الفصيح ، وأمر له بجائزة أخرى لصدقه .

حكمة بالغة وهى :

إن كان الكلام من فضة ، فالسكوت من ذهب .

وقال شاعر :

احفظ لسانك أيها الإنسان   لا يلدغنك إنه ثعبان

وقال أديب : سلامة الإنسان ، فى حفظ اللسان .

وجاء فى الأمثال : لسانك حصانك ، إن صنته صانك .

وجاء فى حديث شريف .

وهل يجر الناس على وجوههم (يوم القيامة) غير حصائد ألسنتهم ؟

وفى حديث آخر : أمسك عليك لسانك .

حكايات وأمثال فى فضل الصدق

محمد صلى الله عليه وسلم
أصدق الأنبياء

عُرف ﷺ بين قومه قبل رسالته بالصدق ، ولم يجرب عليه قومه كذبةً ولا عرفوا عنه زلةً أو هفوةً ، والذين عاشروه قد شاهدوا فى كلامه وأفعاله ماملأ قلوبهم يقيناً ، أنه صادق ، جاء يخبر عن ربه بوحيه ، ومن ذلك أن بعض الأعراب أسلم حين رآه وقال : والله ماهذا الوجه بوجه كذاب .

على أن الصدق يصاحب الخير والبر ، والكذب يساير الفجور والشر .

ولهذا لما كانت السيدة خديجة رضى الله عنها زوجة الرسول عليه الصلاة والسلام تعلم من النبي ﷺ أنه الصادق البارُّ الأمين ، قالت له حين جاءه الوحى وقال لها : (إنى خشيت على نفسى) والله لايخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكلّ ، وتقرى الضيف ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق .

وإليكم شهادة ثلاثة من أعاظم قريش اتفقوا على صدقه ، ولم يكونوا مؤمنين به وقت هذه الشهادة كبراً وأنفةً ، والفضل ما شهدت به الأعداء :

١ — لقد لقى رجل أبا جهل ، وكان أبوجهل من ألدِّ أعداء الرسول ﷺ بعد رسالته ، فقال له الرجل : يا أبا الحكم ليس هنا غيرى وغيرك يسمع كلامنا فخبرنى عن محمد ، صادق أم كاذب ؟ فقال أبوجهل : والله إن محمداً لصادق ، وما

كذب قط ، ومع ذلك لم يؤمن به أبو جهل عناداً واستكباراً ، وقيل : إنه مات مشركا فى غزوة بدر .

٢ — وسأل هرقل (ملك الدولة الرومانية الشرقية) عنه أباسفيان : سخر ابن أمية القرشى الأموى والد أمير المؤمنين معاوية فقال : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال ؟ قال لا .

٣ — وقال النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد الدار القرشى العبدرى لقريش المكذبين لمحمد ﷺ :

قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضا كم فيكم ، وأصدقكم حديثاً ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به قلتم : ساحر ؟ لا والله ماهو بساحر .

أمثال فى الصدق عن السلف الصالح

زوجوه لصدقه

خطب بلال رضى الله عنه لأخيه امرأة قرشية فقال لأهلها : نحن مَن قد عرفتم . كنا عبدين فأعتقنا الله تعالى ، وكنا ضالين فهدانا الله تعالى ؛ وكنا فقيرين فأغنانا الله تعالى ؛ وأنا أخطب إليكم (فلانة) لأخى فإن تنكحوها له فالحمد لله تعالى ، وإن تردونا فالله أكبر ، أى إن ترفعتم ورأيتم أنفسكم أكبر وأعظم من أخى ، فالله جل وعلا أكبر من كل كبير ، فإياكم والكبرياء فأقبل بعضهم على بعض فقالوا : بلال ممن عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله ﷺ ، فزوجوا أخاه ، فزوجوه . فلما انصرفوا قال له أخوه : يغفر

الله لك ؛ أما كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله ﷺ وتترك ماعدا ذلك ؟ فقال : مَه صدقت ، فأنكحك الصدق .

عليكم بالصدق ولو قتل أحدكم

قال إسماعيل بن عبيد الله : لما حضرت أبي الوفاة جمع بنيه فقال : يابنى عليكم بتقوى الله ؛ وعليكم بالقرآن فتعاهدوه ، وعليكم بالصدق حتى لو قتل أحدكم قتيلاً ، ثم سُئل عنه أقرّ به ، ووالله ما كذبت كذبة منذ قرأت القرآن.

عفا عنه الحجاج لصدقه

اتهم رجلان بالمؤامرة على الحجاج أمير الكوفة فأودعا السجن ، ثم حضرا بين يديه لينالا جزاءهما من العقاب ، فقال أحدهما : إن لى عليك حقا ياأمير المؤمنين ، فقال : وماهو ذاك ؟ فقال له : دفعت عنك فى مجلس يوم كذا . فأجابه الحجاج : إن هذه الدعوى تحتاج إلى بينة فأين هى ؟ فقال له الرجل : صاحبى هذا كان حاضراً بالمجلس . فقال له الحجاج : أحقاً مايقول صاحبك ؟ فقال : نعم . فقال له : وهل دفعت أنت عنى كذلك ؟ فقال : لا . فقال ولِمَ ذلك ؟ فقال له : لكراهتى إياك .

فعند ذلك قال الحجاج : قد عفوت عن الرجلين ؛ أما الأول فلحقه علينا ، وأما الثانى فلصدقه .

ثمان مسائل تدل على الصدق

كان حاتم الأصم تلميذاً لشقيق البلخى رحمه الله ، فقال له يوماً : منذ كم

صحبتنى ؟ فقال حاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة . قال : فما تعلمت منى فى هذه المدة ؟ فقال : ثمان مسائل . فقال شقيق : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ذهب عمرى معك ، ولم تتعلم إلا ثمان مسائل ؟ قال : يا أستاذ أنا صادق فيما أقول ، لم أتعلم غيرها ، ولا أحب أن أكذب . فقال له : هات الثمان مسائل حتى أسمعها . قال حاتم :

١ — نظرت إلى هذا الخلق ، فرأيت كل واحد منهم يحب محبوباً فهو ومحبوبه إلى القبر ، فإذا وصل إليه فارقه ، فجعلت الحسنات محبوبى ، فإذا دخلته دخل محبوبى معى .

فقال : صدقت ياحاتم ، فما الثانية ؟ قال :

٢ — نظرت فى قول الله عز وجل : « وأما من خافَ مقامَ ربهِ ونهى النفسَ عن الهوىٰ ، فإن الجنة هى المأوىٰ » فعلمت أن قول الله تعالى هو الحق فأجهدت نفسى حتى استقرت عَلَى طاعة الله تعالى . قال : صدقت .

٣ — نظرت إلى هذا الخلق ، فرأيت كل من معه شىء له قيمة عنده ومقدار رفعه وحفظه ، ثم نظرت إلى قوله تعالى : « ماعندكم ينفد ، وما عندالله باق» فكلما رفع لى شىء له مقدار وقيمة وجهته إليه ليبقى لى عنده . قال: صدقت.

٤ — نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال والحسب والشرف والنسب ، فإذا هى لاشىء ؛ ثم نظرت إلى قوله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » فعملت فى التقوى حتى أكون عند الله عز وجل كريماً . قال : صدقت .

٥ — نظرت إلى هذا الخَلْق ، وهو يطعن بعضهم فى بعض ، و يلعن بعضهم بعضاً ، وأصل هذا كله الجدل وشدة الخصومة ؛ ثم نظرت إلى قوله تعالى : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا » فتركت الجدل ، واجتنبت الخَلق وعلمت أن القسم عند الله سبحانه وتعالى ، وتركت عداوة الخَلق . قال : صدقت.

٦ — نظرت إلى هذا الخَلْق يبغى بعضهم على بعض ، ويقاتل بعضهم بعضاً ، فرجعت إلى قوله تعالى : « إن الشيطان لكم عدوٌّ فاتخذوه عدوًّا » فعاديته وحده ، واجتهدت فى أخذ حذرى منه ؛ لأن الله سبحانه وتعالى شهد عليه أنه عدوّ ، وتركت عداوة الخَلْق عنى . قال : صدقت .

٧ — نظرت إلى هذا الخَلْق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكثرة بذل نفس ، و يدخل فيما لا يحل له . ثم نظرت إلى قول الله تعالى : « ومامن دابة فى الأرض إلا على الله رزقها » فاشتغلت بما لله علىّ ، وتركت ما لى عند الناس . قال : صدقت .

٨ — نظرت إلى هذا الخَلْق فرأيتهم متوكلين ، هذا على بضاعته ، وهذا على تجارته ، وهذا على صنعته ، وهذا على صحته ، وهذا مخلوق متوكل على مخلوق فرجعت إلى قول الله عز وجل : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » .

فتوكلت عليه فهو حسبى ونعم الوكيل .

فقال شقيق : ياحاتم وفقك الله تعالى ، فإنى نظرت فى التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، فوجدت جميع أنواع الخير تدور على هذه الثمان مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة .

الولد الصادق

كان غلامان يرعيان غنماً فى مكان كثير الأشجار ، فتسلق أحدهما شجرةً منها ؛ و بينما هو صاعد زلقت رجلاه فتمزق ثو به ، فقال ما ذا أصنع وأنا لا أقدر أن أخيطه بنفسى ؟

فقال له صاحبه : لاتفكر فى هذا الأمر ، وأخبر والدتك أن مسماراً مزقه بدون أن تشعر ، فتعذرك ولاتعاقبك ، وتصلحه لك ، فقال : إنى أفضل الصدق ولو تحققت معها العقوبة عَلَى الكذب ، و إن كان فيه السلامة ، ثم أخبر والدته بما حصل . فأصلحت له الثوب ، ومدحته على صدقه ، وحثته على اتباعه .

الصدق منجاة

« شيخ عظيم فى البرايا سعيد   له من الدنيا غُلام وحيد »
« حَلَّ ابنه يوماً ببستانه   والنور فيه مِثل عِقْدٍ نضيد »
« فعاثَ فيه لا يُبالى الأذى   وغادر الزرع هشيماً حصيد »
« ثم أتى والده بَعدَه   وشاهد الرّوضة كادت تبيد »
« وقال : مَن أتلف غرسى ؟ وهل   سطا على الغرس عدوّ شديد »
« فلم يجيبوه وقد أطرقوا   خوفاً على النجل العزيز الفريد »
« فأقبل الطفل مقراً بما   جنى وقال : افعل أبى ما تريد »
« أنا الذى فى الروض عاثت يدى   وخالق الكون عليم شهيد »

« ففرح الوالد من صـدقه　　وخصـه من عطفه بالمزيد »
« وقال : يانجلى بلغت الهدى　　فسرعلى النهج القويم السديد »
« عليك بالصـدق ، ولو أنه　　أحرقك الصدق بنار الوعيد »
(آداب العرب)

الصدق طريق مستقيم

زارت سيدة مرّة مدرسة الصم والبـكم ، ولعجزها عن التفاهم بالإشارة مع
ل كتبت على السبورة : بماذا يشبه الصدق ؟

فرفعت بنت صغيرة يدها ، فدعتها السيدة لتكتب ماخطر ببالها فتناولت
قطعة من الطباشير ، ورسمت خطاً مستقيماً من نقطة إلى أخرى ، فسرت
ة كثيراً وكتبت أيضاً : بماذا يُشبه الـكذب ؟
فمحت البنت مارسمته أولاً ، ورسمت خطاً معوجاً جداً .

فاستنتجت السيدة أن البنت أجابت بأن الصدق طريق مستقيم من
كه سلم ، وأن الـكذب طريق معوج كثير العـثرات ، لايأمن من
كه الوقوع فى الزلات .

الصدق ينجى الإنسان من الأخطار

لجأ هارب من أعدائه إلى سيدنا (على الخوّاص رضى الله عنه) وطلب
ن يخفيه من أعدائه ، فقال له : نم هنا .
ثم ألقى عليه حزمة من الخوص ، فلمـا أتى إليه أعـداء الرجل وسـألوا

الخواص عنـه ، قال : هاهو تحت الحوص ، فظنوا أنه يسخر منهم . فتركوه ونجا الرجل من أيديهم ببركة الصدق .

جزاء الصادق

ذهب فلاح إلى جار له غنى مولع بالصيد ، وشكا إليه ما أصاب القمح فى حقله من التلف بسبب كثرة دخول كلابه فيه .

فقال الجار : حقاً ياصاحبي كثيراً ما نزلت كلابى فى حقلك ، وربما سببت شيئاً من التلف ، وأنا مستعد لتعويض خسارتك .

فقال الفلاح : لما رأيت ماحل بأرضى من التلف دعوت صديقاً لى لتقدير الخسارة ، فقرر أنها تبلغ ثلاثين جنيهاً ، فقدم إليه الثرى ما طلب من التعويض .

ولما جاء وقت الحصاد ، وجد الفلاح أن الجزء الذى ظنه تالفاً أتى بأحسن حاصل ، فذهب إلى الثرى وأعلمه بحقيقة الحال ، وقال : إنه قد أتى لرد المبلغ ؛ لأنه لايرى لنفسه حقاً فيه ، فقال الثرى : هـذا ماينبغى بين الرجل والرجل ، ثم ذهب إلى حجرة أخرى ، فعاد ومعه خمسة أمثال المبلغ وقدمه إلى الفلاح قائلاً :

ادخر هذا المبلغ حتى يصير عمر ابنك إحدى وعشرين سنة ، وإذ ذاك سلمه إليه وقص عليه قصته .

« القراءة الرشيدة »

صدق المرء أفضل من كل شيء

أعطى أحد الأغنياء ابنه فى يوم عيد فأساً صغيرة ، فأخذها ودخل حديقة

القصر من غير أن يراه أحد ، وجعل يقطع كل مايقدر على قطعه من الأشجار وهو بذلك فرح مسرور ، وكان من الأشجار التى قطعت شجرة عزيزة جدا عند أبيه . وفى اليوم الثانى أخذ الرجل ابنه وتجوّل به فى الحديقة ، ولما وصل إلى الشجر المقطوع ورأى الشجرة العزيزة قد قطعت غضب غضباً شديداً ، وقال بصوت عال : لوعرفت قاطع هذه الشجرة لعاقبته عقاباً أليماً ، فبكى حينئذ الولد ، لأنه لم ير الغضب من أبيه قبل ذلك ، وقال :

يا أبتِ أنا الذى قطعت هذه الشجرة ، عند ذلك ذهب غضب أبيه وبشّ فى وجهه وقبّله بين عينيه ، وقال له : يابنىّ إن صدقك أفضل عندى من كل شىء سواه ، وإنى أحب أن تتمسك به مادمت حيًّا ، وكافأه مكافأةً حسنةً .

« المطالعة العربية »

التوبة ببركة الصدق

قال الشيخ عبد القادر الكيلانى رضى الله عنه :

بنيت أمرى على الصدق ، وذلك أنى خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم ، فأعطتنى أمى أربعين ديناراً ، وعاهدتنى على الصدق ؛ فلما وصلنا أرض (همدان) خرج علينا عَرب فأخذوا القافلة ، فمرّ واحد منهم وقال : مامعك ؟ قلت أربعون ديناراً ، فظن أنى أهزأ به ، فتركنى .

فرآنى رجل آخر فقال : مامعك ؟ فأخبرته ، فأخذنى إلى أميرهم ، فسألنى فأخبرته، فقال: ماحملك على الصدق ؟ قلت عاهدتنى أمى على الصدق ، فأخاف أن أخون عهدها ، فصاح ومزّق ثيابه ، وقال : أنت تخاف أن تخون عهد أمك ،

وأنا لاأخاف أن أخون عهد الله ، ثم أمر برد ما أخذوه من القافلة .

وقال : أنا تائب لله عَلَى يديك ، فقال من معه : أنت كبيرنا فى قطع الطريق ، وأنت اليوم كبيرنا فى التوبة ، فتابوا جميعاً ببركة الصدق .

« نزهة المجالس »

نجاة المرء فى صدقه

خطب الحجاجُ مرةً فأطال ، فقام رجل وقال :

الصلاة ، فإن الوقت لا ينتظرك ، والربّ لايعذرك ، ، فأمر بحبسه فأتاه قومه ، وقالوا :

إنه لمجنون ، وسألوه إخلاء سبيله ، فقال الحجاج : إن أقر بالجنون أخليت سبيله وعفوت عنه ، فلما سمع الرجل ذلك قال :

لا أزعم أن الله ابتلانى ، وقد عفانى ، فعفا عنه الحجاج لصدقه .

يقول الحق بلا خوف

روى أن معاوية بن أبى سفيان كان جالسا وعنده جماعة من الأشراف ، فقال معاوية : من أكرم الناس أباً وأماً وجداً وجدة وعماوعمة وخالا وخالة ؟

فقام النعمان بن العجلان الزرقى بعد ما آخذ بيد الحسن فقال :

هذا أبوه على بن أبى طالب ، وأمه فاطمة ، وجده رسول الله ﷺ وجدته خديجة ، وعمه جعفر ، وعمتـــه أم هانئ (بنت أبى طالب) وخاله القاسم ، وخالته زينب ، فهـذا هو الشرف الذى لا يدانى ، والفضل الذى لا يبارى .

فانظر كيف قال النعمان : الحق بلا خوف ، ومعاوية إذ ذاك خليفة المسلمين وأمير المؤمنين ، فكان يجوز أن يشرفه على سواه ، ولكنه آثر الحق ، وقال الحق .

فهكذا تكون الرجال ، وهكذا يكون الصدق فى المقال .

(ثمار الإنشاء)

قل الحق وإن كان عليك

حكى أنه جرى بين عبدالله بن الزبير و بين معاوية كلام طويل ، فى آخره قال ابن الزبير : ما مثلى يهارش ، ولكن عندك من قريش والأنصار ومن ساكنى الحجون (جبل بمكة) والآطام (بلد باليمامة) من إن سألته حملك على محجة أبين من ظهر الجفير (كنانة من جلود لاخشب فيها أومن خشب لاجلود فيها) قال : ومَن ذلك ؟

قال : هذا ، يعنى أبا الجهم بن حذيفة .

فقال معاوية : تكلم يا أبا الجهم .

فقال : أعفنى .

فقال : عزمت عليك لتقولن .

قال : نعم ، أمك هند ، وأمه أسماء بنت أبى بكر ، وأسماء خير من هند ، وأبوك أبو سفيان ، وأبوه الزبير ، ومعاذ الله أن يكون أبو سفيان مثل الزبير . وأما الدنيا فلك ، وأما الآخرة فله إن شاء الله تعالى ، ففصل بينهما بالحق ، وقول الصدق .

(ثمار الإنشاء)

فى الصـــــدق النجاة

خرج الشعبي مع ابن الأشعث على الحجاج ، فظهر الحجاج على ابن الأشعث فاستشار الشعبي أصحابه ، فأشاروا عليه بالاعتذار .

قال الشعبي : فلما دخلت خالفت مشورتهم ، ورأيت والله غير الذى قالوا فسلمت عليه بالإمارة ثم قلت : أيد الله الأمير ، إن الناس قد أمرونى أن أعتذر بغير ما يعلم الله أنه الحق ، ولك الله ألاّ أقول فى مقامى هـذا إلا الحق ، قد جهدنا وحرضنا فما كنا بالأقوياء الفجرة ، ولا الأتقياء البررة ، ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا ، فان سطوت فبذنوبنـا ، وإن عفوت فبحلمك ، والحجة لك علينا .

قال الحجاج : أنت والله أحبّ إلينا قولاً ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا ويقول : والله مافعلت ، ولاشهدت ، أنت آمن ياشعبي فقلت : أيها الأمير ، اكتحلت والله بعدك السهر ، واستحلست الخوف (لزمته ولم أفارقه) وقطعت الإخوان ، ولم أجد من الأمير خلفاً .

قال : صدقت ، وانصرفت (ثمار الإنشاء)

قيمة الصـــدق

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بمنًى (بلدة بالحجاز) فعطش فانتهى إلى عجوز فاستسقاها ماء ، فقالت : ما عندنا ، فقال : لبنا ، فقالت : ما عنـدنا ، فبدرت جارية ، فقالت لها : تـكذبين ، وما تستحيين ، ثم قالت لعمر : هذا

السقاء فيه لبن ، فسأل عمر عن الجارية ، فإذا أبوها ثقفى ، فخطبها على عاصم ابن عمر ، فزوجها منه ، فولد منها أم عاصم ، فتزوجها عبد العزيز بن مروان فولدت له عمر بن عبد العزيز بن مروان رحمة الله عليه ، وهذا جزاء صدقها ، ومكافأة لها على سابق معروفها . (روضة العقلاء)

أصدق من قطاة

يحكى أن قطاة تنازعت مع غراب فى حفرة يجتمع فيها الماء ، وادعى كل واحد منهما أنهسا ملكه ، فتحاكما إلى قاضى الطير فطلب بينةً ، فلم يكن لأحدهما بينةٌ يقيمها ، فحكم القاضى للقطاة بالحفرة ، فلمَّا رأته قضى لها بدون بينة ، والحال أن الحفرة كانت للغراب ، قالت له : أيها القاضى ، ما الذى دعاك لأن حكمت لى وليس لى بينة ؟ وما الذى آثرت بهدعواى على دعوى الغراب ؟

فقال لها : قد اشتهر عنك الصدق بين الناس ، حتى ضربوا المثل بصدقك فقالوا : أصدق من قطاة ، فقالت : إذا كان الأمر على ماذكرت ، فوالله إن الحفرة للغراب ، وأنا ممن يشتهر عنه خصلة جميلة و يفعل خلافها ، فقال لهـا : وما حملك على هذه الدعوى الباطلة ؟

فقالت : ثورة الغضب ، لكونه منعنى من ورودها ، (ولكن الرجوع إلى الحق أولى من التمادى فى الباطل) ولأن تبقى لى هـذه الشهرة خير لى من ألف حفرة . « روضة المدارس »

سلطان الحق يقهر سلطان الملك

روى عن مالك بن أنس رضى عنه أنه قال :

بعث إلىّ أبو جعفر المنصور و إلى ابن طاوس فدخلنا عليه وهو جالس على فرش قد نضدت له (وُضع بعضها بجانب بعض) و بين يديه أنطاع (بسط من الجلد قد بُسطت) وجلادون (سيّافون) بأيديهم السيوف لضرب رقاب الناس ، فأومأ إلينا بالجلوس ، وأطرق عنا طويلا ، ثم التفت إلى ابن طاوس ، فقال له : حدثنى عن أبيك .

قال : نعم ، سمعت أبى يقول : قال رسول الله ﷺ .

« إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله فى حكمه ، فأدخل عليه الجور فى عدله » .

قال مالك : فضممت ثيابى مخافة أن يملأنى دمه .

ثم التفت إليه أبو جعفر فقال : عظنى ياابن طاوس .

قال : نعم ، أماسمعت الله يقول : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ — إلى قوله — ٱلَّذِينَ طَغَوْا فِى ٱلْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا ٱلْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ » .

قال مالك : فضممت ثيابى مخافة أن يملأنى دمه ؛ فأمسك المنصور ساعة ثم قال : ياابن طاوس ناولنى الدواة .

فأمسك ابن طاوس ، ولم يناولها إياه وهى فى يده .

فقال : مايمنعك أن تناولنيها ؟

قال : أخشى أن تكتب بها معصيةً فأكون شريكك فيها .

فلما سمع المنصور ذلك قال : قوما عنى .

قال ابن طاوس: ذلك ما كنا نبغى .

قال مالك : فما زلت أعرف بعدها لابن طاوس فضله .

« العقد الفريد »

الحق ينطق المظلوم

جلس المأمون يوماً للنظر فى مظالم الرعية ، فكان آخر من تقدم إليه وقدمَّ بالقيام ، امرأة عليها ثياب رثة ، فوقفت بين يديه وقالت : السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله و بركاته ، فنظر المأمون إلى يحيى بن أكثم .

فقال لها يحيى : وعليك السلام ياأمة الله تكلمى فى حاجتك ، فقالت :

« ياخير منتصف يهدى له الرشد ويا إماماً به قد أشرق البلد »

« تشكو إليك عميدَ القوم أرملةٌ عد عليها فلم يَترِكْ لها سَبَدُ »

« وابتزّ منى ضياعى بعد منعتها ظلماً وفرّق بين الأهل والولد »

فأطرق المأمون حيناً ثم رفع رأسه إليها وهو يقول :

« فى دون ماقلتِ زال الصبر والجلد

عنى وأقرح منى القلب والكبد »

« هذا أوان صلاة العصر فانصرفى

وأحضرى الخصم فى اليوم الذى أعد »

« والمجلس السبت إن يقض الجلوس لنا
ننصفك منـــــه وإلاَّ المجلس الأحد »

فلما كان يوم الأحد جلس ، فـكان أول من تقدم إليه تلك المرأة .
فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله و بركاته .
فقال : وعليك السلام ، أين الخصم ؟
فقالت : الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين ، وأومأت إلى العباس ابنه.
فقال : يا أحمد بن أبى خالد خذ بيده فاجلسه معها مجلس الخصوم ،فجعل كلامها يعلو كلام العباس ، فقال لها أحمد بن أبى خالد : يا أمة الله إنك بين يدى أمير المؤمنين ، و إنك تكلمين الأمير ، فاخفضى من صوتك .
فقال المأمون : دعها يا أحمد ، فإن الحق أنطقها وأخرسه .
ثم قضى لها برد ضيعتها إليها ، وأمر بالـكتاب لها إلى العامل ببلدها أن يُوفر لها ضيعتها و يحسن معاونتها ، وأمر لها بنفقة. « معراج البيان »

المثل الأعلى

لاحترام القانون ، وقول الحق

استدعى صاحب الدولة المرحوم حسين رشدى باشا رئيس الحـكومة المصرية سابقاً إلى المحـكمة ، لتأدية واجب الشهادة فى قضية ، فلم يتخلف عن الحضور ، ولم ينتحل عذراً يقيله من الذهاب إلى المحـكمة ، بل جاء رئيس الحـكومة يحمل بين جنبيه احتراماً ممتازاً للقضاء ؛ فدخل أمام حضرة القاضى

وأدّى واجب التحية ؛ ثم أخذ يسرد شهادته بما أوتيه من قوة الحجة والبلاغة؛ فلما طلب إلى دولته الجلوس أبى إلاّ أن يكون واقفاً يجيب على كل سؤال يوجه إليه من القضاء ، والنيابة والمحاماة امتثالاً لقوله تعالى : (وَمَنْ يَكْتُمْهَا فإنه آثِمٌ قَلْبُهُ) حتى إذا ما انتهى من الشهادة ، وهو واقف على قدميه ، والناس جلوس رغب فى الخروج من حيث أتى ، فكان خروجه أدعى إلى الإعجاب منه فى وقوفه ، إذ حيّا دولته المحكمة بالتعظيم العسكرى ، وانصرف على أعقابه كما تنصرف الرعية من أمام الملوك ، فكان هذا المنظر السامى من أجلّ ما وقعت عليه الأنظار ، وكان للحاضرين من دولة الرئيس المثل الأعلى والقدوة الحسنة لاحترام القانون ، وقول الحق .

حكم وأمثال فى الحق والباطل

قال الله تعالى : بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق .

وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً .

قال ابن المعتز : إن للحق أن يتضح ، وللباطل أن يفتضح .

وقيل : الحق حقيق أن ينهج سبيله ، ويتضح دليله .

وقال المنتصر يوماً : والله ما عز ذو باطل ، ولا طلع القمر من بين عينيه ، ولا ذل ذو حق ، ولو أصفق العالم عليه .

وقيل : الحق أبلج ، والباطل لجلج .

وقيل : للباطل جولة ثم يضمحل ، وللحق دولة لا تنخفض ولا تذل .

حكايات وأمثال في سوء عاقبة الكذب

خرج البخارى رضى الله عنه يطلب الحديث من رجل فرآه قد هربت فرسه وهو يشير إليها بردائه كأن فيه شعيراً فجاءته فأمسكها .

فقال للرجل : أكان معك شعير ؟ قال : لا ؛ ولكن أوهمتها .

فقال البخارى : لا آخذ الحديث عمن يكذب على البهائم .

(نزهة المجالس)

روى أبو داود عن عبد الله بن عامر رضى الله عنه قال :

دعتنى أمى يوماً ، ورسول الله ﷺ قاعد فى بيتنا ، فقالت : ها تعال أعطك .

فقال لها رسول الله ﷺ : وما أردت أن تعطيه ؟

قالت : أعطيه تمراً .

فقال لها رسول الله ﷺ :أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة.

وعن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها قالت : يارسول الله إن لى جارة – تعنى ضرتها – هل عَلَىَّ جناح إن تشبعت لها بما لم يعط زوجى تعنى أنها تتظاهر بغير الواقع .

قال : المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور .

روى فى كتب الأدب : أن سعيد بن مسلم الباهلى خرج حاجاً بيت الله الحرام ، فملّ الركوب فنزل وسار بجانب الجمال التى له .

و بينما هو سائر جاءه أعرابي فقال :

يافتى لمن هذه الجمال المحملة ؟

فقال سعيد : لرجل من (باهلة) .

فلما سمع الأعرابى ذلك ــ وهو يعلم بمذمة الباهليين فى العرب وتحقيرهم لـكذبهم ــ قال :

أو يعطى الله باهلياً مثل هذه النعم ؟

فقال سعيد : ألا تحب أن تكون لك هذه الجمال وما عليها وتكون باهلياً؟

فقال الأعرابى : لا .

قال سعيد ــ وقد أراد أن يخبر مقدار كراهيته للباهليين ، وامتهانه إياهم ــ :

ألا تحب أن تكون من أهل الجنة وأنت باهلى ؟

فقال الأعرابى : بشرط أن لا يعلم أهل الجنة أنى باهلى ، فضحك سعيد وأعطاه وأرضاه .

(عن كتاب السمير الواعظ)

ليس لـكذوب صديق

حكى أن راعى غنم كان يحرس غنمه بالقرب من غابة بها ذئاب كثيرة ، فصاح مرة بأعلى صوته قائلاً :

الذئاب ! الذئاب ! الذئاب تحاول أن تفترس الغنم .

ففزع جماعة من البلدة ، فوجدوه يمزح ، فرجعوا من حيث أتوا .

ثم نادى مرةً أخرى ، ففزعوا لنجدته ، فوجدوه يسخر منهم كالمرة الأولى.

فعادو إلى أماكنهم بعد أن وبخوه على كذبه ؛ لأنه عطلهم عن أعمالهم .

وفى المرة الثالثة عدا الذئب على الغنم حقاً ، فنادى مستغيثاً فلم يسعفه أحد؛ لأنهم اعتقدوا فيه الكذب ، فأكل الذئب الغنم ، وكان جزاؤه الكدر والغم.

وفى ذلك ضرب المثل :

« الكذوب لا يصدق ولو قال صدقاً » .

سوء عاقبة الكذب

« روى الرواة لنا عمن رعى غنماً ... حكايةً ذكرها قد ذاع وانطلقا »

« أتيت أتحفكم نظماً بها وعسى ... فى ذاك ما يستحق الحبر والورقا »

« يقال : قد كان راع قرب بلدته ... يرعى على المرج من أغنامه فرقا »

« إذا به صاح فى الأهلين : دَاهَمَنى ... ياناس ذئب وأبدى الخوف والقلقا »

« فأسرع الناس هذا أشهرت يده ... مسدساً وحساماً غيره امتشقا »

« حتى إذا بلغوه لم يروا أثراً ... للذئب فالقول منه كان مختلقا »

« لذاك عادوا وعمّ الغيظ أجمعهم ... وبعضهم دون شكٍ ذيله حرقا »

« لكنما هزأ الراعى بخفتهم ... وكان يضحك حتى منهم انفلقا »

« حتى إذا الذئب يوماً جاءه ومضى ... دون المزاح بأعلى صوته زعقا »

« الذئب الذئب ياقومى وإذ سمعوا ... ما قال ، لا أحد به وثقا »

« فكان أن ترك الراعى فداهمه ... ذئب وأعضاءه من جسمه مزقا »

« فاحذر من الكذب فالكذاب محتقر ... يظنه الناس كذاباً وإن صدقا »

(رستم)

كم كاذب أضحى قتيل كذبه

نزل صبي بالنيل فى فصل الصيف ليغتسل ، وكان ماهراً فى السباحة فكان يغوص فى الماء تارةً ، ويطفو فوقه تارةً أخرى ، ويبدى من الأعمال ما يدلُّ على مهارته وطول باعه ، فاختبط مرةً فى الماء وصرخ قائلاً : أغيثونى! أدركونى ! مظهراً أنه على وشك الغرق .

فبادر إليه أصحابه ومدُّوا إليه يد المساعدة وجذبوه إلى الشاطئ فلما خرج من الماء سخر منهم وتهكم عليهم قائلاً : إنما قصدت بذلك المزاح ، ولم أقع فى خطر ما .

فلما كان الغد صرخ كما صرخ بالأمس قائلاً : أغيثونى ! أدركونى! لقد أشرفت على الهلاك ؛ فضحك أصحابه ، ولم يهتموا بأقواله .

فما لبث أن توارى عن الأنظار ، فظن رفقاؤه أنه يفعل ما فعل بالأمس، وعما قريب يطفو فوق الماء ؛ ولكن وا أسفاه ! لم يظهر ، ولم يطف .

لأنه صرخ والخطر محدق به ، ولم يغثه أحد ؛ لأن الناس ظنوه يكذب كعادته ، فغرق ومات ضحية كذبه .

عقاب الكذاب

قال أبو إسحاق الثعالبي : كان لقمان من أهون مماليك سيده عليه فبعثه مع عبيد له إلى بستان يأتونه بشيء من الثمر ، فعادوا إليه ، ولم يكن معه شيء ، وقد أكلوا الثمر ، وأفهموا بذلك لقمان .

فقال لقمان لمولاه :

إن الحق لا بد أن يظهر ، ولا تخفى على الله خافية ، فاسقنى وإياهم ماء نقياً فاتراً ، ثم أرسلنا لنعدُوَ .

ففعل ، فجعلوا يتقيأون تلك الفاكهة ، ولقمان يتقيأ ماء ، فعرف مؤلاء صدقه ، وكذبهم ، وعاقبهم على سوء فعلهم .

من ترك الكذب ، نجا من الذنب

تقدم إلى رسول الله ﷺ رجل يريد الإسلام ، فبعد أن نطق بالشهادتين قال : إنى أقترف من الذنوب يا رسول الله ما لا أستطيع تركه .

فقال الرسول ﷺ : هل تعاهدنى على ترك الكذب ؟

قال : نعم ، ثم عاهده على ذلك وانصرف ، وهو يقول فى نفسه : ما أهون ما طلب منى هذا النبى الكريم .

فلما أراد الرجل بعد ذلك أن يسرق قال فى نفسه : إن سرقت وسألنى الرسول فماذا يكون جوابى ؟ إن أجبت بنعم ، فقد حقَّ عَلَىَّ العقاب ، وإن أجبت بلا ، فقد كذبت ، وقد عاهدنى على ترك الكذب ، إذاً فخير لى أن أبتعد عن السرقة ، فابتعد عنها .

وصار بعد ذلك يتذكر عهده كلما حدثته نفسه بارتكاب إثم ، فيبتعد عنه حتى صلح حاله ، وأصبح من خيار الناس العاملين على نصرة الحق والدين ، والتمسك به و بفضائله .

« القراءة الرشيدة »

لا تنطق بكلام لا يعقل

التاجر وصديقه

سافر تاجر فأودع صديقه كمية من الحديد ، فلما عاد من سفره طلب وديعته من صديقه ، فقال له : إن الحديد قد أكلته الجرذان (الفيران) .

فقال التاجر : كيف هـذا ؟ أنا ماسمعت أبداً أن حديداً تأكله الجرذان (الفيران) .

فقال له الصديق : هذا ماوقع .

فخرج التـاجر مغضباً ، فصادف ابن صديقه فأخذه ومضى ، ولما بحث الرجل عن ابنه ولم يجده حزن وتكدر ، وصار يسأل عنه حتى رأى التاجر فسأله ، فقال : قد رأيت بازياً اختطف صبياً ولعله ولدك .

فصاح الرجل قائلاً : هل سمعتم ياقوم أن بازياً يختطف صبياً .

فقال التاجر : لا غرابة فى هذا فإن أرضاً تأكل جرذانها الحديد ، ليس بعجيب أن تختطف بزاتها الفيلة ، فبهت الرجل ورد الحديد لصاحبه ، ورد التاجر له ابنه ، فما أحسن الصدق وأجمله ! وأقبح الـكذب وأشنعه !

التاجر الـكذاب ، والقاضى النبيه الذكى

حدث فى إحدى مدن (أوربة) أن تاجراً فقد هميانًا[1] به أربعمائة دينار فاستأجر منادياً ينشده فى الأسواق ويقول :

---

(١) الهميان : كيس للنقود كالحزام يتخذ من جلد ونحوه ويشد على الوسط وهو المعروف عند العامة (بالـكمر) .

من وجد هميانًا صفته كذا وكذا ، فله نصف مافيه حلالاً سائغاً إذا ردّه إلى صاحبه .

وكان قد التقطه ملاّح فقير ، فدفعته أمانته ، وكرم نفسه إلى أن يخبر المنادى أنه وجده . فذهب به إلى صاحب الكيس ، فحمله لؤم نفسه أن يغدر بالملاّح ، ويخلف وعده .

فقال : إن الهميان كان فيه زمردة ثمينة فهل هى فيه ؟ فدهش الملاّح وأدرك كيده ، وأنه يريد حرمانه من المكافأة فاختصما وترافعا إلى القاضى فسأل القاضى الملاّح عن الزمردة ، فأقسم أنه لم يجد إلا الدنانير ، فسأل التاجر عن أوصاف الزمردة ، فتلعثم ، وأخذ يتخبط فى قوله . فأدرك القاضى مكره وخبث نيته ، وقال :

ياهذا ، تقول : إنك فقدت هميانا فيه زمردة صفتها كذا وكذا ، وليس فى هذا الهميان زمردة ، فليس هذا هميانك ، فانشد هميانك الذى فيه الزمردة علك تجده ، ثم التفت إلى الملاّح وقال : احفظ هذا الهميان أربعين يوماً ، فإذا لم يحضر من يسأل عنه فهو لك ؛ وفقد التاجر هميانه ودنانيره بسبب كذبه .

العاقل لا يكذب

حكى أن القديس (توما اللاهوتى) بينما كان ذات يوم فى حجرته مشتغلاً بمباحث هامة إذ دخل عليه أحد رهبان الدير بغتةً وقال له :

يا أبانا ، يا أبانا ، فقال : مالك يا أخى ؟

قال : قم سريعا وانظر حماراً يطير !

فقام فى الحال وخرج معه ، وأخذ يتفرس ويقول : أين هو ؟

فقال الراهب : عجباً يا أبانا ، هل صدقت ما قلته لك ؟

قال : نعم أصدق أن الحمار يطير ، ولا أصدق أن الراهب يكذب؛ فخجل الراهب وانصرف ، موبخاً ضميره على كذبه .

حبل الكذب قصير

سُرِق فرس لفلاح ، فأتى ثانى يوم سوق الخيل ليبتاع فرساً آخر ،فرأى بين الخيل فرسه فعرفه ، وقبض عليه قائلاً : هذا فرسى ، وقد سرق منى ليلة أمس .

فقال صاحب الخيل : أنت مخطئ ياصاحبى ،كان عندى منذ أكثر من سنة ، فلربما أنت مشتبه فيه .

فوضع الفلاح يديه على عينى الفرس وقال :

قل لى بالله عليك : من أيِ عين لا يبصر إن كان هذا لك ؟

فارتبك اللص ، وبعد هنيهة قال : من عينه اليسرى .

فقال الفلاح : لا ، ليس كذلك .

فقال اللص : لا ، قد سهوت فإنه لا يبصر من عينه اليمنى .

فرفع الفلاح يديه عن عينى الفرس ، وصاح قائلاً :

لقد ظهر الآن أنك لص كذاب محتال ؛ لأن الفرس سليم البصر من العينين ، وأخذ فرسه وانصرف ؛ أما اللص فباء بخزى شديد لكذبه .

الأماني الكاذبة

كان صيادان يتجولان معاً فسمعا بوجود دبّ سمين جداً فى غابة ، فقالا : لا بد من صيده ، والاستيلاء عليه قريباً .

فمن ثمّ كان يواظبان على الذهاب إلى الغابة ليرصدا الدبّ ، ويرجعان فى المساء إلى فندقهما ، وكانا مع إفلاسهما يأكلان دائماً أجود الطعام ويشربان أفخر الشراب ، ويقولان لصاحب الفندق : إن ثمن جلد الدبّ يكفى لوفاء ما علينا من ثمن الأكل والشرب .

وبينما هما يطوفان فى الغابة ذات يوم نظرا الدبّ مقبلاً عليهما يعج عجيجاً هائلاً ، فصوّب أحدهما نحوه بندقيته وأطلق عليه النار ؛ ولكن لشدة خوفه منه أخطأ المرمى ، ولم تصبه الرصاصة فتسلق شجرة كبيرة .

أما الثانى فلم تنطلق بندقيته ، فانطرح على الأرض ، وحبس نفسه واستمات فأتاه الدبُّ يشمه ، ثم ابتعد عنه بدون أن يؤذيه ، لأنه من المعلوم أن الدبّ لا يمسُّ جثث الموتى مطلقاً .

ولما صار بعيداً عنهما نزل الأول من أعلى الشجرة ، وأراد أن يضحك ويسخر برفيقه ، فقال له : أخبرنى بما قاله لك الدبُّ فى أذنك ؟

فأجابه : قال لى ، لا ينبغى أن يباع جلد الدبّ قبل قتله ، ولا ينبغى التمسك بالأمانى الكاذبة .

الادعاء الكاذب

علم صبي بوجود أمير فى حديقة ، فتوجه إليها ، ودخل فيها ، وجلس بجانب شجرة ، ولما مرّ الأمير به صرخ قائلاً : وا أسفاه ! لقد ضاع كيس دراهمى ، وأخذته الشفقة عليه ، وأخرج من جيبه كيساً مملوءاً بالدراهم وقال له :

هل هذا هو الكيس الذى أضعته ياغلام ؟

فأجاب الولد الخبيث : نعم ياسيدى ، هو كيسى بعينه ، ومدّ يده ليأخذه ، ولكن السيد الذى كان يرافق الأمير دنا من الغلام ، وقال له بصوت غليظ : كيف تجاسرت أيها الكذاب الوقح على الحضور أمام مولاك لكى تغشه وتدعى كذباً أن هذا الكيس هو كيسك المفقود ؟ مهلاً فإنى سأريك نتيجة كذبك ، قال هذا ، وقطع فرعاً من الشجرة ، وأخذ يضرب به هذا الولد الخائن عقاباً على كذبه ، ففرّ من أمامه متحسراً نادماً على مافعل .

احترس من الدجالين الكذابين

من غريب مايروى عن حيل الدجالين أن دجّالاً اتفق مع زميل له على إحكام حيلة يكسبان بها مبلغاً جسيماً من المال . فيدخل أحدهما فندقاً كبيراً كأحد السائحين الأغنياء ، و يلبس فاخر الثياب ، و يظهر بمظاهر العظماء ، وجلس إلى مائدة الطعام ذات يوم يتناول العشاء ، ولم يكد يتناول أول لقمة منه حتى ضج بالصراخ ، شاكياً ألماً مفاجئاً حلّ بأضراسه ، وأحكم تمثيل هذا المنظر ،

منظر المتألم الصارخ من أشد الآلام ، وأوجع الأمراض ، والتفّ الناس حوله يسعفونه بالعلاج ، وهيهات أن تنفع فى تسكين آلامه حيلة ، و بينما هو كذلك والنــاس من حوله إذا برجل دخل وجلس بالقرب من ذلك السائح ، وأخذ يستفسر عن الحالة التى يشكومنها ، فقيل له: إن مرضًا مفاجئًا وألماً شديداً أصابه فى أضراسه،جعل يشكو و يتلوى كما ترى .

فتقدم إليه الرجل يحمل علبة صغيرة من صندرق كان معه ، وأخرج منها مسحوقًا أبيض ؛ وأشار على السائح أن يضع منه على موضع الألم ، ففعل ، ولم يكد ينتهى من وضعه حتى تظاهر بالراحة وسكون الألم .

وعجب الناس من فائدة هذا الدواء الشافى فى الحال ، وتقدموا إلى هــذا الطبيب الماهر يسألونه أن يبيعهم من دوائه .

واشترى كل منهم علبة وذهب إلى شأنه ، وهو يعتقد أنه ظفر بأثمن دواء ، وأضمن شفاء .

وشكا بعد أيام أحد هؤلاء ألماً فى ضرسه فعمد إلى الدواء ليسكن به ألمه ، فلم يُجدِ ولم ينفع .

وهنا ظهر لهم أن المريض والطبيب معاً ليسا إلا من الجماعة المحتالين الذين يحتالون على الناس لابتزاز أموالهم ، بطريق الغش والخداع ، ومالبثا حتى قبض عليهما ، ونالا جزاءهما ، وفى ذلك عبرةٌ لمن أراد أن يعتبر .

كذب المنجمون ولو صدقوا

من النــاس من يحترف حرفًا لا تعتبر مزاولتهــا إلا احتيالاً على المعيشة

بطرق غير شريفة ، ولا يرضى بمثل هذه المعيشة إلا أوغاد الناس ، ومن هؤلاء المنجمون الذين يدّعون معرفة الغيب بالتنجيم ، ولا يعلم الغيب إلا الله .

روى بعضهم : أن منجماً ممن يتجولون فى البلدان نزل بقرية أهلها من العرب ، وأخذ يطوف طرقها حتى أتى إلى دار من أحسن الدور منظراً،فوقف بالباب ، وطلب من أصحاب البيت إيواءه و إطعامه .

ولما كانت الضيافة عند العرب من المزايا التى يفاخرون بها غيرهم و يعتقدون أنها من جملة القرب التى ترفع فاعلها عند الله ، أنزلوه على الرحب والسعة وأكرموا مثواه .

وفى أثناء إقامته بينهم ، رأى طفلاً صغيراً فى مهده ،فجلس المنجم وطلب دواةً ، وقرطاساً ، وأخذ يكتب طويلاً ، ورب البيت يتوقع فراغه من حين إلى حين كى يحييه التحيةالتى اعتادها العرب مع نزلائهم ، و بعد فراغه نظر إلى ربّ البيت وقال : علمت بالتنجيم أن ابنك هذا سيكون من أسعد الرجال ، وأكبرهم قدراً ، ولسعادته يتولى رياسة الجيش ، وتنتصر البلاد على يديه فى غزوات هامة عديدة ، وأنه سينال أعظم ألقاب الشرف، حتى يكون علماً يشار إليه بالبنان ، و يهابه كل الناس فى جميع الأقطار .

فقطع عليه الأب الكلام ، وقال : إنما الطفل الذى تتكلم عنه بنت ، فأمسك المنجم ، وشعر بالخزى ، ورحل .

« القراءة الرشيدة »

الأعرابى وابنه الكذاب

قال أعرابى لابنه حينما سمعه يكذب :

يابنى ، عجبت من الكذاب المشيّد بكذبه ، وإنما يدل على عيبه ويتعرض للعقاب من ربه ؛ فالآثام له عادة ، والأخبار عنه متضادّة ؛ إن قال حقاً لم يُصَدَّقْ وإن أراد خيراً لم يُوَفَّق ، فهو الجانى على نفسه بفعاله ، والدال على فضيحته بمقاله ؛ فما صحّ من صدقه نُسب إلى غيره ، وماصح من كذب غيره نسب إليه فهو كما قال الشاعر :

« حسب الكذوب من المها نة بعض مايحكى عليه »
« فإذا سمعت بكذبة من غيره نسبت إليه »

حكايات وأمثال

فى ذكاء الأطفال

١ — دخل المأمون بعض الدواوين ، فرأى غلاماً صغيراً على أذنه قلم فقال : مَن أنت ياغلام ؟

فقال : أنا يا أمير المؤمنين ،الناشىء فى دولتك المتقلب فى نعمتك، المؤمل لخدمتك ، خادمك وابن خادمك (الحسن بن رجاء) .

فقال أحسنت يا غلام ، وبالإحسان فى البديهة تفاضل العقول ، وأمر أن ترفع رتبته .

٢ — قيل : إن المأمون تكلم فأحسن .

قال يحيى بن أكثم : يا أمير المؤمنين ، جعلنى الله فداك ، إن خضنا فى الطب ، فأنت (جالينوس) فى معرفته ، أو فى النجوم ، فأنت (هرمس) فى حسابه ، أو فى الفقه ، فأنت (علىّ بن أبى طالب عليه السلام) فى علمه ، وإن ذكر السخاء كنت (حاتماً) فى جوده، أو الصدق ، فأنت (أبو زيد) فى صدق لهجته ، أو الكرم فأنت (كعب) فى إيثاره على نفسه ، أو الوفاء فأنت (السموءل بن عاديا) فى وفائه .

فاستحسن قوله ، وتهلّل وجهه .

وكان المأمون ماهراً فى جميع الفنون ، كاشفاً عن كل سر مكنون .

٣ — حكاية وقعت بين ملك عربي ، وغلام عربي :

مرّ أحد الملوك بغلام عربي يسوق حيواناً بعنف وشدة ، والحيوان بطيء الحركة ، قليل الهمة ، فقال الملك : ياغلام ، ارفق بهذا الحيوان .

فقال الغلام العربي : أيها الملك ، في الرفق مضرّة له .

فقال الملك : وكيف ذلك ؟ وإني لا أرى مضرة غير الذى هو فيه الآن.

فقال الغلام : ذلك أنه إذا أبطأ يطول طريقه ، ويشتد جوعه ، ففي العنف إحسان إليه .

فقال الملك : وما الإحسان إليه ؟

قال الغلام : يخف حمله ، ويطول أكله .

فأعجب الملك بجوابه وكافأه .

فقال الغلام : هو رزق مقدور ، وواهب مأجور .

فقال الملك : قد أمرت بإثبات اسمك في بطانتي .

فقال الغلام : كفيت مؤونة ، ورزقت بها معونة .

فقال الملك : ولولا حداثة سنك لاستوزرتك .

قال الغلام : لن يعدم الفضل من رزق العقل .

قال الملك : وهل تصلح لذلك يا غلام ؟

قال الغلام : إنما يكون المدح والذم بعد التجربة ، ولا يعرف الإنسان نفسه حتى يبلوها ، وقال تعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ .

٤ ـ مرّ عمر بن الخطاب (رضى الله عنـه) على صبيان يلعبون فتفرقوا من هيبته ، ولم يبرح (عبد الله بن الزبير) فقال له : مالك لا تبرح ؟

فقال : ما الطريق ضيقة فأوسعها لك ، ولا ذنب لى فأخافك . فسرّ من صراحته وشهامته ، وكافأه .

٥ ـ مر أحـد الأمراء على صبيان يلعبون بالـكرة ، فوقعت عينه على صبي ذكى منهم فخطف طربوشه ، وأخذ يدال عليه ليبيعه ، فسأل الصبيّ : بكم تشترى هـذا الطربوش ؟ فأجابه فى الحال : بمـائة درهم ، قال له الأمير : أيستحق كل هذا الثمن ؟

قال الصبي : نعم ، إن طربوشا صغيراً مثل هـذا ، دلاله أمير الأمراء ، لا بد أن يكون غالى الثمن .

فسرّ من نجابته ، وأمر بمكافأة أهله ، ونصحهم بالاعتناء بتربيته ، لما رآه عليه من سمات النجابة والذكاء .

٦ ـ دخل الرشيد دار وزيره ، فقال لولد له صغير : أيهما أحسن ، دارنا أم داركم ؟ قال : دارنا . فقال الرشيد : لِمَ ؟ قال الولد : لأنك فيها يا أمير المؤمنين فسرّ منه وأجازه .

٧ ـ قال المعتصم للفتح بن خاقان وهو صبى : أرأيت يا فتح أحسن من هذا الخاتم ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، اليد التى هو فيها أحسن منه ، فتعجب المعتصم من ذكائه ، وسرعة خاطره ، وانتزع الخاتم من يده وكافأه به .

٨ ــ رأى رجل صبياً ومعه سلّة مغطاة بمنديل فقال له :

أخبرنى يا بنىّ ما فى هذه السلة ؟

فقال على البديهة : لو أرادت أمى أن يعرف كل واحد ما فيها ما غطّتها بهذا الغطاء . فخجل الرجل ، وأعجب بذكاء الصبى .

٩ ــ سأل هارون الرشيد ولده المأمون ــ وكان أنجب أولاده ــ أن يكتب كتاباً بتولية (جوهر الصقلى) على مصر ، فكتب :

« السيف بجدّه ، والقلم بمدّه ، والعبد بسعده ، لا عن أبيه ولا عن جده ، قد وليناك على مصر » .

فأعجب الرشيد كثيراً من فطانته و بلاغته ، وكافأه مكافأة عظيمة .

١٠ ــ كان عبد الله المأمون يقرأ على الكسائى ، والمأمون إذ ذاك صغير وكان من عادة الكسائى ، إذا قرأ عليه المأمون يطرق رأسه ، فإذا غلط المأمون رفع الكسائى رأسه ونظر إليه ، فيرجع المأمون إلى الصواب .

قرأ المأمون يوماً سورة الصف فلما قرأ :

﴿ يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ رفع الكسائى رأسه ونظر المأمون إليه ، فكرر الآية ، فوجد القراءة صحيحة ، فمضى على قراءته ، وانصرف الكسائى ، فدخل المأمون على أبيه الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين إن كنت وعدت الكسائى وعداً فإنه يستحى منك .

قال : إنه كان التمس للقرّاء شيئاً ووعدته به ، فهل قال لك شيئاً ؟

قال : لا ، قال : فما أطلعك على هذا ؟

فأخبره بالأمر ، فسرّ من فطنته وحدة ذكائه .

١١ — قال سعيد بن مسلم بن قتيبة للمأمون .

لو لم أشكر الله إلا على حسن ما أبلانى فى أمير المؤمنين من قصده إلىّ بحديثه ، و إشارته إلىّ بطرفه ، كان ذلك من أعظم ما توجبه النعمة ، وتفرضه الصنيعة .

قال المأمون : ذلكِ والله ، لأن الأمير يجد عندك من حسن الإفهام إذا حدثت ، وحسن الفهم إذا حُدثت ، ما لا يجده عند غيرك .

١٢ — قال العباس بن الحسين للمأمون ؟ يا أمير المؤمنين . إن لسانى ينطلق بمدحك غائبا ، وقد أحببت أن يستزيدعنك حاضراً ، أفتأذن لى يا أمير المؤمنين بالكلام ؟

فقال له — قل ، فوالله إنك لتقول فتحسن ، وتحضر فتزين ، وتغيب فتؤتمن .

فقال : ما بعد هذا الكلام يا أمير المؤمنين ، أفتأذن بالسكوت ؟

قال : إذا شئت .

١٣ — لما دخل المهدى البصرة رأى (إياس بن معاوية) وهو صبى وخلفه أربعمائة من العلماء وأصحاب الطيالسة ، و إياس يتقدمهم ، فقال المهدى : أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث ؟

ثم إن المهدى التفت إليه وقال : كم سنك يا فتى ؟

قال : سنى — أطال الله بقاء الأمير — سن (أسامة بن زيد بن حارثة) وكان

صغيراً مثله ، لما ولاه رسول الله ﷺ جيشاً فيهم أبو بكر وعمر .

فقال له المهدى : تقدم باركَ الله فيك .

١٤ ــ دخل على الرشيد طفل عمره أربع سنين فقال له : ما تحب أن أهب لك ؟

قال : جميل رأيك ، فإنى أفوز به فى الدنيا والآخرة .

فأمر الرشيد بدنانير ودراهم فصبت بين يديه فقال له: اختر الأحب إليك، فقال :الأحب إلى أمير المؤمنين، وهذا من هذين ، وضرب بيده إلى الدنانير ، فضحك الرشيد ، وعجب من فطانته وأدبه ، وأمر بضمه إلى ولده ، والصرف عليه .

١٥ ــ يحكى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه رأى ولداً له يوم عيد ، وعليه قميص خلق (ممزق) فبكى فقال له : ما يبكيك يا أبت ؟ فقال يا بنى أخشى أن ينكسر قلبك فى يوم العيد إذا رآك الصبيان بهذا القميص الخلق .

فقال . يا أمير المؤمنين ، إنما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه أو عقّ أمه وأباه ، و إنى أرجو أن يكون الله راضياً عنى برضاك .

فبكى عمر رضى الله عنه وضمه إليه ، وقبله بين عينيه ، ودعا له ، فكان أغنى الناس بعد أبيه .

١٦ ــ رأى أحد الفضلاء صبياً ذكياً بأصبعه خاتم فسأله : إنى أرى فى أصبعك خاتماً جميلا ، وعليه اسم المرحوم والدك فكيف فزت بهذا الأثر النفيس دون إخوتك ؟

فأجابه فى الحال : تعبت فى الحصول عليه لتصبح الأسرة فى خنصرى .

١٧ ـ نظر المأمون إلى بعض ولده ، وهو يقرأ فى كتاب ، فقال : يابنى، ما كتابك هذا ؟

قال : بعض ما يشحذ الفطنة ، ويؤنس من الوحشة .

فقال: الحمد لله الذى رزقنى فتى يرى بعين عقله أكثر مما يرى بعين وجهه .

١٨ ـ مر فارس بغلام فقال : يا غلام ، أين العمران ؟ قال : اصعد الرابية تشرف عليهم فصعد ، فأشرف على مقبرة ، فقال : إن الغلام لجاهل أو حكيم فرجع فقال للغلام : سألتك عن العمران ، فدللتنى على مقبرة .

فقال : إنى رأيت أهل الدنيا ينتقلون إلى تلك، ولم أر أحداً انتقل منها إلى هذه ، وإنما النقل من الخراب إلى العمران ، ولو سألتنى عما يواريك ودابتك لدللتك عليه .

١٩ ـ قحطت البادية فى أيام (هشام بن عبد الملك) فقدمت إليه العرب فهابوا أن يتكلموا وكان فيهم (درواس بن حبيب) وهو إذ ذاك صبى،فوقعت عليه عين هشام، فقال لحاجبه :ما يشاء أحد يدخل على إلا دخل حتى الصبيان ، فوثب (دوراس) ووقف بين يديه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه أصابتنا سنون ثلاث : سنة أذابت الشحم ، وسنة أكلت اللحم ، وسنة مصت العظم، وفى أيديكم فضول أموال ،فإن كانت لله ففرقوها على عباده ، وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم ؟ وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم ، فإن الله يجزى المتصدقين ، ولا يضيع أجر المحسنين .

فقال هشام : ما ترك لنا الغلام فى واحدة من الثلاث عذراً .

فأمر للبوادى بمائة ألف دينار ، وله بمائة ألف درهم .

فقال الصبي : اردها يا أمير المؤمنين إلى جائزة العرب ، فإنى أخاف أن تعجز عن بلوغ كفايتهم .

فقال : أما لك حاجة ؟

فقال : مالى حاجة فى خاصة نفسى دون عامة المسلمين ، فخرج وهو من أنبل القوم .

٢٠ ـ حكى أن أم جعفر عاتبت الرشيد فى مدحه للمأمون دون ولدها الأمين ، فدعا خادماً وقال له : وجه إلى الأمين والمأمون خادماً يقول لكل واحد منهما على انفراد : ما تفعل بى إذا أفضت الخلافة إليك ؟

فأما الأمين فقال للخادم : أقطعك ، وأعطيك .

وأما المأمون فإنه قام إلى الخادم بدواة كانت بين يديه وكتب :

أتسألنى عما أفعل بك يوم يموت أمير المؤمنين، وخليفة رب العالمين ؟إنى لأرجو أن نكون جميعاً فداء له .

فقال الرشيد لأم جعفر : كيف ترين ؟ فسكتت عن الجواب .

٢١ ـ دخل (محمد بن عبد الملك بن صالح) على المأمون حين قبضت ضياعهم وهو غلام صغير .

فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين،(محمد بن عبد الملك) سليل نعمتك ابن دولتك ، وغصن من أغصان دوحتك، أفتأذن لى فى الكلام ؟قال:نعم.

فحمد الله وشكره ، ثم قال : أمتعنا الله بحياطة ديننا ودنيـانا ، ورعاية أقصانا وأدنانا ، ببقائك ياأمير المؤمنين ، ونسأله أن يزيد فى عمرك من أعمارنا، وفى أثرك من آثارنا ، ويقيك شر الأذى بأسماعنا وأبصارنا .

هذا مقام العائذ بظلك ، الهارب إلى كنفك وفضلك ، الفقير إلى رحمتك وعدلك .

فسرّ المأمون من فصاحته وأمر له بجائزة .

٢٢ — كان للرشيد ولد ، يقال له (العبـاس) وكان شديد السمرة ، فأبعده الرشيد لذلك ، ولم يلحقه بنسبه ، فاتفق أن تنبأ رجل فى زمن الرشيد ، وقام يدعى النبوة والرسالة ، فأحضر بين يدى الرشيد ، فزجره ، وجعل يعنفه ويتوعده ، وأبناء الرشيد مصطفون بين يديه ، وفى جملتهم (العباس) المشار إليه ، فأبى المتنبى إلا التمادى فى ضلاله وغيه ، فأمر الرشيد بجلده . فلما مس السوط جسده جعل يضطرب ويرتعد ويقوم ويقعد ، فجاء إليه (العباس) وهو يومئذ لم يتجاوز عشر سنوات وقال :

إن كنت رسولا كما تزعم (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) فلما سمع الرشيـد كلام (العباس) فرح فرحاً شديداً ، واستبشر استبشاراً زائداً وقال : ابنى والله ! ابنى والله ! وقرّبه منه وأدناه ، وألحقه بمرتبة من سواه .

٢٣ — تقدم (إياس بن معاوية) وهو صبى ، إلى أحد القضاة ومعه شيخ فقال : أصلح الله القاضى ، هـذا شيخ ظلمنى ، واعتدى على ، وأخذ مالى .

فقال له القاضى : ياهذا ارفق بالشيخ ، ولا تصادره بمثل هذا القول .

فأجابه (إياس) : أصلح الله القاضى ، إن الحق أكبر منى ومنه ومنك .

فقال له : اسكت ولا تتكلم .

فقال له : إن سكت فمن يقوم بحجتى ؟

فسكت القاضى ، ثم قال : تكلم فوالله ما تتكلم بخير .

فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فرفع صاحب الخبر هذا الخبر فعزل القاضى وولى (إياس) مكانه .

٢٤ ـ لقى غلام من غلمان العرب (أبا العلاء المعرى) الشاعرِ الفحل .

فقال له : من أنت ياشيخ ؟

قال : (أبو العلاء المعرى) الشاعر ، فقال له : أنت القائل فى شعرك !

« وإنى وإن كنت الأخير زمانه　　لآت بما لم تستطعه الأوائل »

قال : نعم .

فقال الغلام : ياعماه ، إن الأوائل قد وضعوا ثمانية وعشرين حرفا للهجاء فهل لك أن تزيد عليها حرفا ؟

فدهش (أبو العلاء المعرى) من ذلك ، وقال : إن هذا الغلام لا يعيش لشدة حذقه ، وتوقد فؤاده .

٢٥ ـ سأل رجل ولداً صغيراً ذكياً : من الذى قبل الله .

فأجابه الولد : عد لى من الواحد إلى العشرة لأجيبك .

فلما ابتدأ الرجل أن يعد ، قال له الولد . ماذا قبل الواحد ؟

فأجابه الولد الذكى التقى : قل : الله الأول والآخر ، ليس قبله ولا بعده شىء

فسر الرجل من ذكائه ومدحه على تقواه .

٢٦ — (حكى أبو على الرازى) قال : مررت بصبيان فى طريق الشام يلعبون بالتراب ، وقد ارتفع الغبار ، فقلت : مهلا قد غبرتم ، فقال صبى منهم : يا شيخ أين تفر إذا هيل عليك التراب فى القبر ؟ فغشى على وأفقت ، والصبى قاعد عند رأسى مع الصبيان يبكون ، فقلت له : أعندك حيلة فى الفرار من التراب ؟

فقال : أنا لا أعلم ، ولكن سل غيرى .

فقلت : ومن غيرك ؟

قال : عقلك .

٢٧ — يحكى أن محمد على (والى مصر سابقا) مر يوماً فى الطريق فرأى ولداً صغيراً فى العاشرة من عمره ، ولكنه تبدو عليه علامات النجابة ، نشيط خفيف الروح ، فسأله : هل تعرف القراءة يا غلام ؟

فقال الولد : نعم ، قال : فقل شيئاً .

فقال الولد : « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً » .

فسر الأمير من هذا الجواب وأعطاه جنيهاً ، فرفض الولد ولم يرد أن يقبل الجنيه ! فسأله الباشا عن سبب رفضه .

فقال الولد : أخاف أن يضر بنى أبى .

قال : قل له إن الباشا أعطانى الجنيه .

قال الولد : إنه لا يصدقنى .

قال : لماذا ؟

فقال الولد : لأن هذه ليست عطية الملوك .

فسر محمد على باشا من هـذا الجواب ، وأمر فى الحال أن يؤخذ فيعلم فى المدارس الأميرية مجاناً .

٢٨ ـ خرج حاكم مدينة من مدن الأرياف ليلا يتفقد أحوال الناس فاصطدم برجل وغضب غاية الغضب ، ولـكنه وجد الرجل معذوراً لشدة الظلام فصفح عنه وعاد إلى بيته .

وفى الصباح أصدر أمراً يقضى على كل سائر بالليل أن يحمل مصباحاً فى يده .

ولما أقبل الليل خرج الحاكم كعادته فاصطدم بالرجل نفسه فغضب منـه ونهره ، وقال له بصوت الحانق : كيف أمكنك أن تخالف أمرى ، وتمشى بغير مصباح ؟

فقال الرجل : عفوا يا مولاى ، فهذا المصباح فى يدى .

فقال الحاكم : ولـكنه خال ، وليس فيه شمع .

فقال الرجل : كذلك كان أمرك خلواً من ذكر الشمع ، فذهب الحاكم وأصدر أمراً آخر فى الصباح يقضى بوضع الشمع فى المصابيح ، وخرج فى الليل فصادف ذلك الرجل مرة ثالثة فقبض عليـه وقال له : الآن وقعت فى يدى ولا مفر لك ، أين مصباحك وما فيه من الشمع ؟

فقال الرجل : ها هو ذا يا مولاى وفيه شمعة ، ولـكنك لم تأمر بإيقادها .

فأدرك الحاكم أنه أخطأ مرة ثالثة ، وخلى عن الرجل ، واعتبر بهذه

الحادثة ، حتى صارت أوامره فيما بعد غاية فى الصراحة والإحكام ، وكافأ الرجل على نباهته .

٢٩ ـ كان أحد اللصوص ماشياً فى الطريق ، فوجد صبيا صغيراً يبكى عند بئر، فسأله اللص عن سبب بكائه . فقال: ياسيدى كنت أحمل إبريقاً من نحاس لأملأه من ماء هذا البئر ، فسقط فيه وأنا خائف أن أعود إلى أبى فيضربنى ، فقال اللص ، وقد طمع فى أخذ الإبريق : لا تبكى يا ولدى ، فأنا أنزل البئر وأخرجه لك فاحرس أنت ثيابى .

فقال الصبى : حاضر ياعم ، ربنا يخليك .

وخلع اللص ثيابه ،ونزل البئر ،فما كان من الولد إلا أن استولى على ثياب اللص ، ومضى لسبيله .

أما اللص ، بعد أن بحث عن الإبريق فى البئر بغير جدوى ، صعد إلى الأرض ، فما وجد الصبى ولا وجد ثيابه ، فجعل يصخب ويلعن نفسه والصبى ، وهو يقول :طمعت فى الإبريق فضاعت ثيابى،ودخلت علىّ حيلة الصبى الماهر الذكى ، يصح أن يسمى بحق (شيخ اللصوص) .

٣٠ ـ وقال الأصمعى : قلت لغلام حدث من أولاد العرب كان يحادثنى فأمتعنى بفصاحته وملاحته : أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحمق ؟ قال : لا والله ، قلت : ولم ؟ قال : أخاف أن يجنى علىّ حمقى جناية تذهب بمالى ، ويبقى علىّ حمقى .

٣١ ـ تكلم رجل عند(عبدالملك)بكلام ذهب فيه كل مذهب فقال له وقد

أعجبه : ابن من أنت يا غلام ؟

فقال : ابن نفسى يا أمير المؤمنين التى نلت بها هذا المقعد منك .

قال : صدقت ، وعجب من حدة ذهنه ، وكال أدبه .

٣٢ ـ دخل ولد صغير ، على فيلسوف كبير وطلب إليه أن يعطيه جمرة نار ، ولم يكن معه وعاء يأخذ فيه النار، فتعجب من أمره وقال له : كيف تأخذ النار وأنت لم تأت بوعاء لها ؟

قال : قد جئت بالوعاء ، وغرف رماداً ملء كفه ، وقال : ضع النار هنا ، أرأيت ما أحسن هذا الوعاء ؟

فتعجب الفيلسوف من فطنته وذكائه وقال : حقا ، إن الإنسان العالم الكبير قد يحتاج للتعلم من الصغير .

٣٣ ـ قال (ثمامة بن أشرس) أحد كبار المتكلمين من المعتزلة فى زمن المأمون : دخلت على صديق لى أعوده ، وتركت حمارى على الباب ، ولم يكن معى غلام ، ثم خرجت و إذا بصبى عليه فقلت له : أتركب حمارى بغير إذنى؟

قال : خفت أن يذهب فحفظته لك .

قلت : لو ذهب ما باليت بذهابه .

قال : فإذا كان هذا رأيك فى الحمار فاعمل على أنه قد ذهب وهبه لى وارج شكرى .

فلم أدر ما أقول إزاء فصاحته ونباهته ؟

٣٤ ـ هرب (عبد الملك) من الطاعون ، فركب ليلا وأخرج غلاماً

معه وكان ينام على دابته فقال للغلام : حدثنى .

فقال : ومن أنا حتى أحدثك ؟

فقال (عبد الملك) : على كل حال حدث حديثاً سمعته .

فقال : بلغنى أن ثعلباً يخدم أسداً ليحميه ، ويمنعه ممن يريده ، فكان يحميه ، فرأ الثعلب عُقاباً فلجأ إلى الأسد فأقعده على ظهره ، فانقض العُقَاب واختلسه ، وصاح الثعلب : يا أبا الحارث أغثنى واذكر عهدك لى .

فقال : إنما أقدر على منعك وحمايتك من أهل الأرض ، وأما أهل السماء فلا سبيل لى عليهم .

فقال عبد الملك للغلام : وعظتنى وأحسنت ، انصرف .

فانصرف ورضى عبد الملك بقضاء الله وقدره .

٣٥ — خرج المأمون يوماً إلى الصيد فى كوكبة من الحرس ، فلاحت له طريدة ، فأطلق عنان فرسه حتى أشرف على مجرى ماء من نهر الفرات ، فإذا هو بفتاة عربية قد أعطيت من كل شىء أحسنه ، وبيدها قربة قد ملأتها ماء ، وصعدت بها من ضفة النهر ، فانحل وكاؤها فصاحت برفيع صوتها : يا أبت أدرك فاها ، قد غلبنى فوها ، لا طاقة لى بفيها ، فأخذ المأمون العجب لفصاحتها ، وجميل غنتها ، فقال مخاطباً لها : يا جارية ممن أنت ؟

فأجابت الفتاة : من بنى كلاب .

فقال المأمون : وما الذى حملك أن تكونى من الكلاب ؟

فقالت الفتاة : والله لست من الـكلاب ؛ وإنما أنا من قوم كرام غير لئام يقرون الضيف ، ويضربون بالسيف ، ولـكن يافتى من أى الناس أنت ؟

فقال المأمون : أو عندكم علم بالأنساب ؟

فقالت الفتاة : نعم .

فقال المأمون : من مضر الحمراء ؟

فقالت الفتاة : من أى مضر ؟

فقال المأمون : من أكرمها نسباً ، وأعظمها حسباً .

فقالت الفتاة : أظنك من كنانة ، فمن أى كنانة ؟

فقال المأمون : من أكرمها ولداً ، وأشرفها محتداً .

فقالت الفتاة : أنت من قريش ، فمن أى قريش ؟

فقال المأمون : من أجلّها ذكراً ، وأعظمها فخراً .

فقالت الفتاة : أنت والله من بنى هاشم ، فمن أى هاشم ؟

فقال المأمون : من أعلاها منزلاً ، وأشرفها قبيلةً ، ممن تهابه هاشم وتخشاه .

فأحنت الفتاة رأسها إجلالاً وتعظيماً له ، وأقبلت بوجهها ، وقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين .

فطرب المأمون طرباً شديداً ، وثمل برحيق أدبها ، وسريع بديهتهم ، ثم نزل ، ريثما حضر الحرس ، وأنفذ خلف والدها ، وخطبها إليه ، وأخذها وعاد بها مسرعاً إلى دار الخلافة فرحاً مسروراً كأنه ملك الدنيا ومن فيها، فكانت الفتاة أم ولده (العباس) فلولا ما تحدّث به الفتاة من رجاحة العقل ، وفصاحة

اللسان ، وكمال الجمال ، وكريم الشيم ، ومحاسن الخصال ، وما ارتدت به من فضيلة الأدب . ولين الخطاب ، وسرعة الجواب ، لما صارت شمساً مضيئة فى قصور الخلفاء .

فهلموا إلى حياض الأدب ، فانهلوا منها ، واعلموا أن سلسلة من أدب الفكر ، خير من سلسلة ذهبية فى الصدر .

« محادثات الملوك »

مثال الذكاء والفصاحة والنبوغ

مصطفى كامل باشا مؤسس النهضة الوطنية

ولد فى سنة ١٨٧٤ وتوفى سنة ١٩٠٨

نشأ (مصطفى كامل) وتلوح عليه علامات الذكاء والنجابة والفصاحة وقوة الذاكرة فى طفولته ، وكان كثير الاهتمام بما يحدثه أبوه (على أفندى محمد المهندس) من القصص على عادته مع أولاده ، ويعى هذه القصص ويدركها تمام الإدراك وهو طفل لم يتجاوز الخامسة من عمره ، وقد عهد أبوه إلى فقيه يدعى الشيخ (أحمد السيد) أن يعلمه فى المنزل القراءة والكتابة ، ويحفظه القرآن الكريم ولما أتم السادسة من عمره أدخله مدرسة (والدة عباس باشا الأول) الابتدائية بالصليبة وفيها ظهرت عليه علائم النجابة والفصاحة ، والإباء والشجاعة ، فمن ذلك أنه بعد أن مكث بمدرسة عباس سنتين حدث أن تلميذاً معه فى الفرقة سأله المعلم سؤالا فلم يجب عليه ، وأجاب مصطفى بدلا عنه ، فسبه المعلم وعاقبه بالحبس ساعتين ، فأبت نفسه هذا الظلم ، وطلب إلى أبيه أن يلحقه بمدرسة أخرى

لأنه لم يستطع أن يتحمل هذه الإهانة ، فأخرجه والده من (مدرسة عباس) وأدخله مدرسة (السيدة زينب) الابتدائية التابعة لوزارة الأوقاف وقتئذ . فأكبّ على الدرس فى المدرسة ، كما كان دأبه فى الأولى ، وظهر ذكاؤه الفائق واستعداده الكبير للنبوغ ، فصار أول أقرانه .

ثم بعد وفاة والده نقل إلى (مدرسة القربية) لقربها من منزل جده لأمه.

وفى هذه المدرسة تجلت فيه مواهبه فى الذكاء والجد والعزيمة ، فتفوق على أقرانه ونال (الشهادة الابتدائية) .

ثم دخل المدرسة (التجهيزية) بدرب الجماميز (المدرسة الخديوية الآن) سنة ١٨٨٧ ، وفيها ظهرت مواهبه من الذكاء والفصاحة والصراحة والشجاعة؛ والجرأة واستقلال الفكر ، وعلو النفس ، وقوة الذاكرة ، وحسن الإلقاء،فنال احترام الأساتذة والتلاميذ جميعاً ؛ وكان موضع إعجابهم . وقد عرفه فى ذلك الحين المرحوم (على باشا مبارك) وزير المعارف العمومية وقتئذفأعجب بفصاحته وشجاعته ، وتوقد ذهنه ، وقوة عارضته ، وأعجب به كثيراً . وكان الوزير يشجعه وينشطه ويدعوه إلى منزله بالحلمية القديمة ، ويناقشه فى المسائل العلمية والدينية والاجتماعية ، ويقدمه إلى جلسائه من العلماء والكبراء ؛ ويثنى عليه أمامهم . وقد نال شهادة الدراسة الثانوية (البكالوريا) فى سنة ١٨٩١ ودخل (مدرسة الحقوق) الخديوية ثم التحق بمدرسة الحقوق الفرنسية سنة ١٨٩٢ وجمع بين المدرستين . هذا تاريخ حياته المدرسية (وأنشأ مجلة التلميذ) فى سنة ١٨٩٣ .

أما أخلاقه الكريمة فحدث عنها ولا حرج ، فبدأت فى البيت من حسن تربية والده إياه وقدوته الحسنة. ثم استمرت فى المدارس الابتدائية والثانوية والعالية

ثم بعد ذلك فى ميدان الجهاد الوطنى ممتازاً بالأخلاق الفاضلة التى اكتسبها طفلاً وتلميذاً وشاباً ولازمته طول حياته، وأنشأ (الحزب الوطنى، وجريدة اللواء) وأخذ يدافع بقلمه و بقلبه وفكره عن مصر، ويكافح عن حريتها واستقلالها ضد الإنجليز المستعمرين فى مصر، وفى فرنسا ولندرا نفسها، وقدم إلى مجلس نواب فرنسا صورة رمزية تمثل مصر ترسف فى قيود الاحتلال، وتستصرخ فرنسا على تحريرها، وجعل فى ذيلها الأبيات الثلاثة الآتية بالعربية وكتبت أمامها ترجمتها بالفرنسية وهى:

أفرنسا يامن رفعت البــلايا فى شعوب تهزها ذكراك

أبصرى مصر إن مصر بسوء واحفظى النيل من مهاوى الهلاك

وانشرى فى الورى الحقائق حتى تجتــلى الخير أمة تهواك

واستمر فى نضاله وجهاده إلى أن وافاه القدر المحتوم فى ١٠ فبراير سنة ١٩٠٨ وقد كتب عنه الأستاذ عبد الرحمن الرافعى (بك) كتاباً خاصاً فى ترجمة حياته طبع فى سنة ١٩٢٩ .

فهو بحق مثال الذكاء والفصاحة، والصراحة والشجاعة، وعلو الهمة وعلو النفس. وقد كانت أخلاقه خير أساس لوطنيته، كما كانت عدته فى سبيل الجهاد الوطنى، والفوز فى معترك الحياة، والنجاح فى أداء رسالته .

فهو خير مثال يقتدى به فى صفاته وأخلاقه، رحمه الله رحمة واسعة وجعل الجنة مثواه، وجزاه عن أمته خير الجزاء .

وتخليداً لذكراه واعترافاً بفضل وطنيته قد أقام الحزب الوطنى تمثالاً له بشارع قصر النيل (ميدان سوارس سابقاً) المقاطع لشارع محمد (بك) فريد أحد أقطاب الحزب الوطنى رحمه الله .

خلاصة سير بعض الأنبياء

عليهم أفضل الصلاة والسلام

المذكورين فى منهج وزارة المعارف

١ قصة سيدنا نوح عليه السلام

أرسل الله نوحاً إلى قومه ، وكانوا يعبدون الأصنام ، فأمرهم أن يعبدوا الله ، فلم يستمعوا قوله ، واتفقوا على أذاه ، وكان كلما نصحهم يضعون أصابعهم فى آذانهم لئلا يسمعوا ، و يغطون وجوههم كراهةً للنظر إليه واستمر على هذه الحالة تسعمائة وخمسين سنة ، ثم أمره الله أن يصنع الفلك ؛ فعملها طبقات ،على حسب فصائل الحيوانات ، من خشب الأبنوس .

ثم بعد ذلك دعا نوح على قومه ، فأجاب الله دعاءه وأمره أن يأخذ من جميع الحيوانات ذكراً وأنثى ،وأن يأخذ كل صنف من النبات وأن يأخذ من آمن به ، ففعل كما أمر ، وأخذ ما يكفيهم من الزاد مدة ستة أشهر وأوحى الله إليه أن يركب السفينة وقت ما يفور الماء من التنور (الفرن) فعند ذلك خرج وركب ونادى من آمن ، فحضروا وكانوا أربعين نفساً .

« نصيحته لابنه ، ونتيجة مخالفته أوامر الدين »

وخرج عن طاعته ولده (كنعان) ، فقال له :

« يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ » .

فأجابه بقوله : « سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ

مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ » .

ثم نبع الماء من الأرض ، ونزل المطر من السماء ، حتى علا الماء فوق الجبال ، ومكث الطوفان ستة أشهر .

ثم أوحى الله تعالى إلى الأرض بقوله :

« يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ ، وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ » .

وكان هذا الاستواء على جبل (الجوديّ) يوم عاشوراء .

وبعد أن جفت الأرض « قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ » .

ثم إن من كان مع نوح من المؤمنين عاشوا بعد ذلك قليلاً ، فلم يبق إلا نوح وأولاده الثلاثة : (سام ، وحام ، ويافث) ونساؤهم ، ففرق بينهم أبوهم نوح ، حتى ذهب كلٌّ إلى ناحية فعمرها بأولاده ، حتى صار الآدميون كاثرى من عهد نوح إلى وقتنا هذا من نسله عليه السلام ، ولذا سمى : « أبا البشر الثانى » بعد سيدنا آدم عليه السلام .

٢ — قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام

كان سيدنا إبراهيم له أبٌ اسمه (آزر) وكان كافراً ، وأمٌّ اسمها « ليوثا » وكانت مؤمنةً سراً ، وقد وُلد إبراهيم فى مدة ملك اسمه (النمروذ) كان ذا قوة وكان يعبد الأصنام ، ولما ملك جميع الدنيا ادعى الألوهية فعبده الناس خوفاً منه.

فلمّا صار إبراهيم مراهقاً بكّتَ أباه بقوله :

« أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ » .

حيث كان أبوه يعبد الأصنام ويتجر فيها .

ثم صار إبراهيم يقول : ياقوم اعبدوا الله ربكم .

فلما سمع (النمروذ) بذلك أحضر إبراهيم وقال له: أنا الذى خلقتك ورزقتك فقال له إبراهيم : كذبت ، ربى « الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ » .

فعند ذلك بهت (النمروذ) ومن معه معجبين من فصاحة لسانه، ثم التفت (النمروذ لآزر) وقال له : خذ ولدك وحذره من بأسى .

فأخذه أبوه وصار يحذره ، فقال له إبراهيم :

« يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا » .

فزجره أبوه ووبخه .

ثم بعد ذلك ترقب إبراهيم الأصنام ، ودخل عليها ، وكانت ثلاثة وسبعين صنماً فكسرها بفأس ، ولم يمس الصنم الأكبر بسوء ؛ بل علق الفأس فى رأسه وذهب ؛ فلما دخلوا عليها وجدوها على تلك الحالة فظنوا أن ما فعل ذلك إلاّ إبراهيم ، فأخبروا (النمروذ) ، وكان قبل أن يدعى الألوهية مشغولاً بعبادة الأصنام ، فأمر بإحضاره .

فلما حضر قال (النمروذ) وقومه :

« أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ؟ »
فأجابهم بقوله : « بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْئَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ».
ثم إنه لما رأى الجهل محيطاً بهم قال :
« أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » .
فلما سمعوا ذلك تحققوا أنه الفاعل ، فقالوا :
« حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ » .

فجمعوا حطباً وخشباً مدة ثلاثة أشهر حتى صار كالجبل ، ، فأضرموا فيه النار ، فاشتعلت حتى ملأت الجو ، وعمّت جميع الجهات حرارتها ، وصنعوا منجنيقاً ووضعوا فيه إبراهيم ورموه فى النار ، فصارت برداً وسلاماً على إبراهيم لقوله تعالى : « يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ » ونبعت بقر به عين ماء ، ونبتت إلى جانبها شجرة رمان ، وأتاه جبريل بسرير من الجنة ، وتاج وحلّة ، فلبسهما إبراهيم وجلس على السرير فىأرغد عيش ، ولم تؤثر فيه النار ، فآمن به خلق كثير .

ولما علم (النمروذ) بذلك قال له : يا إبراهيم اخرج من أرضنا ، فخرج هو ومن آمن معه ، وتزوج بواحدة اسمها (سارة) فجاء إلى مصر ، وأقام بها مدة ، فأعطاه ملك مصر جارية اسمها (هاجر) لما رأى من معجزاته ، ثم رجع إلى الشام وأقام بها .

وهو أول من قرى الضيفان ، وأول من شابت لحيته .

٣ — قصة سيدنا موسى وأخيه هارون عليهما السلام

أرسل الله موسى وأخاه هارون لفرعون وملائه حيث طغى وادعى الألوهية وعبدته الناس خوفاً منه .

ثم إن فرعون سمع بامرأة جميلة اسمها (آسية) فتزوجها ، وهى مؤمنة سراً فلما أراد أن يدخل بها تخشبت أعضاؤه ولم يستطع القرب منها فاكتفى بالنظر إليها .

ثم إنه رأى مناماً ، فسأل السحرة عن تفسيره فقالوا له :

إنه سيولد فى ملكك ولد يكون سبباً فى هلاكك وهلاك قومك فأمر بذبح من يولد من الذكور ، وكان (عمران) من وزرائه .

فلما حملت امرأته بموسى لم يشعر بحملها أحد إلى أن وضعته .

فأوحى الله إليها أن ألقيه فى البحر ، فصنعت تابوتاً ، ووضعته فى جوفه وهى باكية ، خصوصاً أن أباه قد مات فى ذلك الحين ، وقالت لأخته : انظرى إليه من بعيد ، ورمته فى البحر ، فقذفته الأمواج إلى أن دخل منزل فرعون ، فرأته ابنته ؛ وكانت برصاء (أى مصابة بداء البرص) فبملامستها إياه شفيت ؛ فأخذته وذهبت به إلى (آسية) وأخبرتها بما حصل .

فقالت آسية لفرعون : لا تقتله ، واتركه لنقوم بتربيته عندنا .

فامتثل وأمر بإحضار المراضع ، فحضرن ، فلم يمس ثدى واحدة منهن .
فقالت لهم أخته : «هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ؟»

قالوا : نعم ، فأحضرت أمه ، فأعطته ثديها ، فرضعه واستمرت ترضعه إلى أن تم مدة الرضاع ،فأعطوا أمه ما يكفيها وتركته وذهبت؛ فلما تم عمره أربعين سنة صار يأمر الناس بعبادة الله ،فبينما هو مار فى شارع من شوارع مصر ، إذ رأى رجلين يقتتلان ،أحدهما قبطى ،والثانى إسرائيلى من نسل يعقوب، فاستغاث الإسرائيلى بموسى ، فجـاء ووكز القبطى فى صدره ، فوقع ميتاً ، فتأسف موسى وطلب المغفرة من الله ، فغفر له .

وفى اليوم الثانى رأى الإسرائيلى يتشاجر مع قبطى آخر فاستغاث بموسى فلم يغثه .

ولما علم فرعون بما حصل من موسى ، قال : من رآه فليقتله .

فخرج موسى من مصر خائفاً إلى أن وصل إلى أرض (مدين) فوجد بئراً والناس عليها مزدحمون لسقى غنمهم ، ووجد من دونهم امرأتين تمنعان غنمهما من السقى حتى ينصرف الناس

فقال لهما : لا تمنعا ، وأخذ الغنم وسقاها لهما .

فلمَّا رجعتا إلى أبيهما (شعيب) أخبرتاه بما صنع موسى .

فقال أبوهما لإحداهما : اذهبى وأتينى به .

فجاءته ، وكانت شديدة الحياء ، وقالت له :

« إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا » .

فلمَّا دخل على شعيب وقص عليه قصته قال له : لا تخف .

ثم زوَّجه إحدى ابنتيه على شرط أن يرعى له الغنم عشر سنين فقبل موسى

وصار يرعى الغنم إلى أن أتم مدته ، فاستأذن شعيباً فى العودة إلى مصر فأذن فأخذ زوجته وولده وغنمه وسار إلى أن وصل إلى (جبل الطور) فكلمه ربه وقال له « إِنِّى أَنَا رَبُّكَ » ثم قال له : « اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى » .

فسأل موسى ربه أن يرسل معه أخاه هارون ، فأجاب الله سؤاله ، ثم إن هارون كان وزيراً عند فرعون ، فأوحى الله إليه أن استقبل أخاك فإنه قادم إلى مصر ، فقام وقابله ، فبشره موسى بمشاركته له فى الرسالة ، ثم ذهبا إلى أمهما ، وبعدها ذهبا إلى فرعون وقالا له : قل لا إله إلاّ الله وارجع عما أنت فيه

فقال لموسى : إن كنت رسولاً من عند الله فأت بآية (أى علامة) فرمى موسى عصاه فصارت ثعباناً ، وأخرج يده من جيبه فصارت بيضاء كشعاع الشمس ، وغير ذلك من الآيات ؛ كالطوفان ، والجراد ، والقمل والضفادع والدم ، حتى صاروا يرون هذه الأشياء فى مأكلهم ومشربهم .

فقال فرعون هو وقومه : إن هذا لساحر .

فأحضر فرعون السحرة وقال لهم : ابذلوا ما عندكم من السحر مع موسى ففعلوا ، فرمى موسى عصاه ، فصارت حيّة وابتلعت جميع ما فعلوه فعند ذلك آمنت جميع السحرة ، وخرّوا لله سجداً ؛ فأمر فرعون بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وصلبهم على جذوع النخل ، فرضوا بذلك ولم يرجعوا عن إيمانهم وكانوا سبعين رجلاً .

ثم أخذ موسى من آمن معه وسار ، فتبعه فرعون وجنوده ليهلكه ومن معه إلى أن وصلوا إلى البحر ؛ فضرب موسى البحر بعصاه فانفلق وصار اثنى عشر

طريقا ، و يبس المـــــاء ، فدخل موسى وقومه فنزل فرعون وجنوده وراءهم ، فنجى الله موسى ومن معه ، وانطبق البحر على فرعون وجنوده ، فغرقوا أجمعون

ثم أنزل الله التوراة على موسى ، فصار يأمر الناس و ينهاهم بمافيها إلى أن توفاه الله ، وهو يقرأ فى التوراة ، صلى الله عليه وسلم .

٤ — قصة سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام

من حكم الله تعالى أن خلق آدم من غير أب وأم ، وخلق حواء من غير أم ، وخلق عيسى من غير أب ، وخلق بقية نوع الإنسان من أب وأم .

ولما أراد الله تعالى أن يخلق نبيه عيسى أرسل إلى مريم (جبريل) فى صورة إنسان ، وكانت وقتئذ معتزلة فى مكان شرقى الدار ، حيث كانت تغتسل من حيضها ؛ فلما رأت جبريل استعاذت منه ليبتعد عنها ، فأجابها بأنه رسول الله من قبل الله ، جاءها ليهبها ولداً يكون نبياً « قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا » .

فأجابته : كيف يكون لى ولد وأنا لم أتزوج ولست من أهل البغى ؟
« قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا » .

قال لها : هذا أمر هين على ر بك ، أراد ذلك ليكون علامة للناس على قدرته ، ورحمة لمن آمن به ، وقد حكم بإيجاده ولا محالة .

فحملت به ، ولم تمض ساعة من حمله حتى أحست بألم الولادة ، فجاءت تحت جذع نخلة ووضعته ؛ ثم ذهبت إلى قومها حاملة له . فظنوا أنها جاءت به من طريق الزنا .

« فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا »

وهموا ليرجموها بالحجارة ، فأشارت إليه ليسألوه .

فقالوا لها : « كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا » ؟

فقال لهم عيسى : « إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا . وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا . وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا . وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا » .

فعند ذلك تحققت لهم براءتها .

ولما بلغ عيسى ثلاثين سنة ، بعثه الله رسولاً ، وأنزل عليه الإنجيل وآمن به خلق كثير .

ومن معجزاته أنه يصور من الطين طيراً ، فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، ويبرئ الأكمه ، والأبرص ، ويحيي الموتى بإذن الله .

ومن معجزاته أيضا : نزول المائدة من السماء ، وإخبار قومه بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم .

وقد اغتاظ منه اليهود ، فاتفقوا على قتله ، فهجموا عليه وهو فى بيته ، فدخل واحد منهم اسمه (يهوذا) فلم يجده ، فدخلوا عليه فوجدوا فيه شبهاً من عيسى فقتلوه وصلبوه ، أما عيسى فرفعه الله إلى السماء .

فذلك قوله تعالى : « وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ » .

وقوله تعالى : « بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيمًا » .

وكساه الله أوصاف الملائكة وهو حى الآن .

وأما مريم أمه ، فتوفيت بعد رفعه بمدة قليلة ، ودفنت ببيت المقدس .

ثم إنه ينزل قبل قيام الساعة ، ويحكم بشريعة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، ولا يدع كافراً ، ويمكث مدة أربعين سنة ، ثم يحج ويزور قبر محمد ﷺ ، ثم يموت ويدفن بجواره

٥ — سيرة سيدنا محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم

النبي العربى ، الهاشمى القرشى ، أكرم العرب نسباً ، وأشرفهم حسباً ، هو (محمد بن عبد الله) بن عبد المطلب، بن هاشم ، بن عبد مناف ، وينتهى نسبه إلى عدنان ويتصل عدنان بسيدنا إسماعيل ابن سيدنا إبراهيم عليهما الصلاة والسلام .

وُلد عليه الصلاة والسلام بمكة بعد وفاة والده عبد الله سنة ٥٦٩ بعد المسيح — عام الفيل — أى فيل (أبرهة الأشرم) الذى غزا به الكعبة فقامت بتربيته والدته السيدة (آمنة بنت وهب بن عبد مناف) وتوفيت وهو ابن ست سنين ، فكفله جده (عبد المطلب بن هاشم) سيد قريش، ومات لثمان سنين من ولادته ، وعهد به إلى ابنه (أبى طالب) فأحسن ولايته وكفالته وسافر به إلى الشام سنة ٥٨٣ بعد المسيح ، ولما نزل أرض بصرى خرج راهب اسمه (بحيرا) من صومعته ، وأخبر بأنه سيكون له ﷺ شأن عظيم ، وسافر عليه الصلاة والسلام ثانيةً إلى الشام تاجراً بمال (خديجة بنت خويلد) وكانت من أشراف

قريش الأغنياء ، فربحت تجارته ربحاً عظيما ، فشكرته ، وتزوجت به ، وحضر الزواج الملأ من قريش ، وكان عمره ﷺ وقتئذ ٢٥ سنة ، وعمرها ٤٠ سنة فخلف منها جميع أولاده ، ما عدا إبراهيم فإنه من (مارية القبطية)

وكان عليه الصلاة والسلام مشهوراً بين قومه بحسن السيرة واستقامة السلوك ، وجميل الخصال ، وجليل الفعال ، وكانوا يلقبونه بالأمين ، ويعتبرونه أحسن من يقتدى به ، وأعظم إمام يتبع ، ولما بلغ من العمر أربعين سنة أرسله الله تعالى إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ، فدعاهم إلى عبادة الله ، وترك عبادة الأصنام ، فانقادوا إليه وآمنت به خديجة وأبو بكر وعلى بن أبى طـــالب ، وزيد بن حارثة وغيرهم ، ثم تزايد عدد المسلمين ، وقد زاد فى علو شأنه ، وقوة سلطانه ، إسلام عمر بن الخطاب ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهو يدعو الناس إلى الدين القويم ، ولم يقعده عن نشر دين الله تهديد كفار قريش له ، ولا موت عمه وزوجته خديجة ، وأخذ أمره يظهر رويداً رويداً ، فاستاء أهل مكة ، ورأوا فى دعوته كساداً لتجارتهم ، فعزموا على الإيقاع به وبأصحابه ، واتفقوا على قتله ليلا ، فأوحى الله بذلك إليه ، فوضع علياً على فراشه وغطاه ببردته وتحصن بالله وخرج على القوم ونثر التراب على رءوسهم ، فلم يروه حتى خرج من مكة وتقابل مع صاحبه (أبى بكر الصديق) خارجها كما اتفقا .

وهذا هو سبب هجرته من مكة إلى المدينة ، وكان قد تصرم من ربيع الأول ٨ أيام أى فى ١٥ أو ١٦ من شهر يوليه سنة ٦١٢ بعد المسيح ، وهى السنة التى يبتدئ منها تاريخ الإسلام الهجرى ، فخرج القوم على أثر الأقدام

إلى أن وصلوا إلى الغار الذى دخل فيه ، فوجدوا العنكبوت فوقه والحمام معششاً عليه ، فرجعوا خائبين ، وقد جعل قومه مكافأة لمن يحضره لديهم فذهب (سراقة بن مالك) فلحقهما ، فأشار إليه النبى ﷺ فغاصت أرجل فرسه فى الصخر ، فاستغاث بالنبى ، فأشار إليها فقامت ، فطمع فى المكافأة ثانياً ، فكر عليهما ، فأشار إليه النبى ، فساخت قوائم فرسه فاستغاث بالنبى فأشار إليها فقامت ، فرجع إلى مكة خائبا ، ووصل ﷺ المدينة بعد مضى ستة أيام ، فلاقاه أهل المدينة بالإكرام ، ونصروه فسموا (الأنصار) كما سمى من هاجر معه (المهاجرين) .

وقد آمن به خلق كثير ، ومكث ثلاث عشرة سنة من مبعثه إلى هجرته يدعو الناس إلى الإسلام صابراً على الأذى .

ولما اشتد ساعده فى المدينة عزم على محاربة أهل مكة، فجهز جيشاً صغيراً من أنصاره ، وغزا قريشاً غزوات عديدة، أولها (غزوة بدر الصغرى) فى السنة الثانية من الهجرة التى انتصر فيها المسلمون على أهل مكة انتصاراً باهراً ، وفى السنة الثالثة غزاهم أيضاً قرب (أحد) وكان جيشه أقل بكثير من جيش الأعداء فغلبهم .

ثم غزا محمد مكة ففتحها عنوة ، وحول الكعبة من بيت أصنام إلى مسجد لله يحج إليه المسلمون من أقطار المعمورة ، وبفتح مكة تمت له الغلبة على العرب فجاءوا إليه من كل الجهات ودخلوا فى طاعته ، وكان ذلك فى السنة التاسعة من الهجرة النبوية .

وفى العاشرة : حج فى جموع كثيرة وخطب فيهم يوم النحر (بمنى) وودع الناس فقالوا : هذه (حجة الوداع) .

ولما رجع إلى المدينة مرض وتوفاه الله فى الثانى عشر من ربيع الأول سنة ١١ بعد الهجرة ودفن بها ، ومدفنه يعرف (بالحرم النبوى) و بلغ سنه ﷺ ثلاثاً وستين سنة .

شمائل الرسول ومعجزاته

أما شمائله وصفاته الكريمة ﷺ ، فكان أحسن الناس خَلْقاً وخُلُقاً وأرجحهم عقلاً ، وأفضلهم رأياً ، وأوسعهم صدراً ، وأطهرهم طبعاً ، وأشجعهم قلباً ، وأسخاهم يداً ، وأطيبهم نفسا ، وأكرمهم حسباً ، وأعظمهم حلماً ، وأصدقهم قولا ، وألطفهم معاملة ، وأحسنهم جواباً ، وأوفاهم أمانة وذمة ، وأعلاهم همة ومروءة ، ويكفى ما قاله فى وصفه سيدنا حسان :

« وأحسن منك لم تر قط عينى   وأجمل منك لم تلد النساء »
« خلقت مبرأ من كل عيب   كأنك قد خلقت كما تشاء »

أما معجزاته ﷺ فمن يوم مبعثه إلى يوم وفاته كلها معجزات باهرات وآيات بينات ، دالة على أنه رسول الله حقاً .

ومن أعظم تلك المعجزات : (القرآن الكريم) لأن بلاغته أعجزت الفصحاء ، وأفحمت الخصماء ، مع أنه ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب .

ومنها (انشقاق القمر) حينما طلبت قريش منه ذلك قال تعالى : « اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ » .

ومنها : نسج العنكبوت ، وتعشيش الحمام على فم الغار لما دخله هو وأبو بكر الصديق رضى الله عنه .

ومنها : إبراء الأمراض والآلام بمجرد اللمس والنفث .

ومنها : تأييده بالنصر فى جميع الغزوات ، وإمداده فيها بالملائكة والريح العاصف .

ومنها : هداية الناس ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، مع وحدته وكثرة أعدائه ، وقوة حمية الجاهلية فيهم .

ومنها : قلب كيان الأمة العربية من البداوة البحتة إلى الحضارة والمدنية الصحيحة .

وفقنا الله إلى العمل بشريعته ، وأماتنا على سنته آمين .

تم الجزء الأول ، ويليه الجزء الثانى « إن شاء الله تعالى » .

فهرس

السمير المهذب

سلسلة قصصية اسلامية هادفــة

مــــن اربعـــة اجــــزاء

يطلب مــــن

دار الكتب العلمية

بيروت ـ لبنان